

الأدب الممتحن

أحمد عبد الله الدامغ

الجزء الثالث عشر



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة

قسم الدراسات والبحوث والنشر

الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(ح)

احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدامغ ، احمد بن عبدالله

الادب المثنى / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ

١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

أ- العنوان

١- الادب العربي - مجموعات

١٤٢٤/٢٧٧٣

ديوي ٨، ٨١٠

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣

ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

الحقوق محفوظة لمركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣

فاكس ٤٨٧١٤٢٧/٢٦

الموقع على الأنترنت

www.albahrain-center.com

البريد الإلكتروني:

E-mail: info@albahrain-center.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة!

أخي القارئ الكريم، لقد حرصت كل الحرص على عدم توالي الموضوعات المتجانسة أو تقارب بعضها من بعض بصورة ملفتة للنظر ما لم يكن هناك مبرر لتواليها أو ارتباط وثيق يجبرني على ذلك. وقد بنيت هذا الحرص على أمرين هما من أهم ما قامت عليه خطة تأليف هذا الكتاب:

الأول: إن في مباعدها عن بعضها وبعثرتها في أجزاء هذا الكتاب ما أراه يطرد عنك الملل من مواصلة القراءة في مواضع متشابهة في جوهرها. وينأى بك عن العزوف عن قراءة الكتاب برمته.

الثاني: أنني لو قاربت بين المواضيع المتجانسة وجعلتها متتالية أو متوالية لما صح لي أن أجعلها تحت هذا العنوان «الأدب المثلث» وفرض عليّ واقع تجمعها عنواناً يترجم معناها ويدل على مضمونها وفحواها هذا والله الهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبد الله الدامغ
ص.ب ٤٠١٣٨ الرياض ١١٤٩٩

وصف مائدة من الرؤوس

ويتفنن الطباخون والطهاة في تقديم الموائد المتنوعة، بل يكون لهم في تحضير النوع الواحد من المأكولات عدة طرق لطبخه وإعداده للأكل، فاللحم مثلاً وهو نوع واحد يتم تحضيره للأكل مطبوخاً طبخاً عادياً، أو مشوياً أو مقلياً، وهلمّ جرا مما يعرفه الطهاة من أساليب تحضير طبق من اللحم أو من أي نوع من أنواع الأكل كالبطاطا وغيرها.

وبعض الشعراء يكون له ثقافة شاملة لذلك، وخبرة يملك بموجبها القدرة على وصف المائدة المتنوعة. فتراه حينما ينظم قصيدة يصف فيها مائدة متكاملة يجعلك وأنت تقرأ شعره كأنك تنظر بعينك إلى المائدة التي يتناول وصفها.

ومن الشعراء الذين أخذوا بطرف من وصف الموائد المعدة من رؤوس الخراف وما يتخللها من رقائق الخبز والبقول والمشهيات، الشاعر صالح بن مؤنس وذلك في أبيات ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر، منها قوله:

قد غدونا على رؤوس سمان
ناعمات من أرؤس الخرفان
وارمات الخدود من غير سوء
شحومات العيون والآذان
تتداعى بالوهم من قبل أن تد
مسها كف أكل ببنان

ولأصل اللسان طيب ينسـ
ك من الطيب مصّ طرف اللسان
ورُقاق ذي نعمة وبياض
كوجوه المخدّرات الحسان
وبقول تُغنيك عن زهرة الرو
ض وتنسيك خضرة البستان

وهذه المائدة المكونة من الرؤوس، قال عنها الشاعر صالح بن
مؤنس في نفس القصيدة إنها عند شخص يستحق المديح والثناء لكرمه،
وجوده، ولطافة أخلاقه التي جعلت من نفسه عبداً لإخوانه وضيوفه،
فنشر الزمان سمعته، ونادى بكرم فضله على رؤوس الأشهاد:

عند حُرّ يستنفد الوصف مدحاً
وهو عبد لسائر الإخوان
أحكمتك الأيام يا ابن حكيم
فأريت الزمان حكم الزمان

○ ○ ○ ○ ○

نسب كُثَيِّر.. وسبب تصغير اسمه

وَكُثَيِّر الذي اقترن اسمه باسم معشوقته عزة، وأصبح ينسب إليها هو: أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارق بن سعيدة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن خزاعة بن ربيعة أنهى الأصبهاني نسبه إلى قحطان، واسم أمه: جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رباح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جده أبي أمه، أبا جمعة ولذلك قيل له ابن أبي جمعة.. قال: وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له، ومات كثير سنة خمس ومائة، أما ابن كثير فجعله في «البداية والنهاية» من وفيات ١٠٧هـ.. أما عزة التي نسب إليها فهي عزة أم عمرو بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار فإن له معها مواقف سأذكر شيئاً منها إن شاء الله في موضع آخر من هذا الجزء.

أما تصغير اسمه وجعله كُثَيِّر - بضم الكاف وفتح الشاء وتشديد الياء بدلاً من كثير - بفتح الكاف وكسر الشاء والياء، فلأنه كان دميم الخلق قصيراً طوله ثلاثة أشبار.

قال ابن خلكان صاحب كتاب «وفيات الأعيان»: كان يقال له - والمعني كثير - رب الربان وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره.

قال الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» كان إذا دخل على عبد الملك بن مروان، يقول له: طأطأ رأسك لا يؤذيك السقف، وكان يضحك إليه.

ولقد اهتمت كثير من كتب التراث بذكر كثير وبشيء من أشعاره وبعض مواقفه، منها أن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: قالت عائشة

بنت طلحة لكثير عزة: ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة
وليست على نصف من الحسن والجمال؟ فلو قلت ذلك فيّ وفي أمثالي
فأنا أشرف وأفضل وأحسن منها، وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت
النساء حسناً وجمالاً، وأصالة، وإنما قالت له ذلك لتخبره وتبلوه فقال:

ضحى قلبه يا عزّ أو كاد يذهل
وأضحى يريد الصوم أو يتبدل

وكيف يريد الصوم من هو وامق
لعزة لا قال ولا متبذل

إذا واصلتنا خلة كي تزيلنا
أبيننا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا
ونحن لتيك الحاجبية أوصل

وحدثها الواشون أني هجرتها
فحملها غيظاً عليّ المحمل

فقالت له عائشة قد جعلتني خلة ولست لك بخلة، وهلا قلت كما
قال جميل فهو والله أشعر منك حيث قال:

يا ربّ عارضة علينا وصلها
بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر
حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي بقدر قلامه
فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال: والله ما أنكر فضل جميل، وما أنا إلا حسنة من حسناته.. واستحيا.

ابن عربي يعترض على ابن أبي ربيعة!!

وابن عربي هو: أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي - من غير لام التعريف - كان مولده بالأندلس في مدينة مرسية سنة ٥٦٠هـ وكانت وفاته في دمشق سنة ٦٣٨هـ وفي الجانب الشعري من ثقافته وعلمه يُعدُّ واحداً من الشعراء الذين لهم مباحث في أقوال غيرهم من الشعراء ولهم فيها وجهات نظر. من ذلك أنه سجل في قصيدة له ملاحظة جعل منها قضية تخضع للدراسة والنقد.

وقبل أن أتناول تلك القضية، أرى أن أنقل بعضاً من أبيات القصيدة التي ضمن أبياتاً فيها اعتراضه على ابن أبي ربيعة، حتى وصل إلى نقطة ملاحظته.

والحقيقة أنها قصيدة جيدة، مضى يصف في مقدمتها ما به من شوق وعناء إلى أن قال:

من بنات العراق بنت إمامي
وأنا ضدها سليل يمانِي

هل رأيتم يا سادتي أو سمعتم
أن ضدين قط يجتمعان؟

لو ترانا برامة نتعاطى
أكوساً للهوى بغير بنان

والهوى بيننا يسوق حديثاً
طيباً مطرباً بغير لسان

لرأيتكم ما يذهبُ العقل فيه يَمَنُّ والعراق معتنقان

وبعد هذه الأبيات الواقعة في منتصف قصيدته، نرى ابن عربي قد سلط ضوء نقده على رأي عمر بن أبي ربيعة في عدم التقاء زوجين كل منهما قد عاش في جهة معاكسة للجهة التي عاش فيها الآخر، وذلك حينما تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث التي كان عمر بن أبي ربيعة يتغزل بها في بعض أشعاره، فجعل ابن عربي في تحليله ما يؤيد توافقهما بكناية لطيفة، حيث نقل القضية برمتها إلى نجوم السماء ليجعل التوافق اللفظي منسجماً مع قول عمر بن أبي ربيعة ثم يذهب بالمعنى إلى منحني آخر ليحكم بإسقاط استحالة توافقهما، فالنجم سهيل الذي موقعه دائماً في أقصى كبد الجنوب من السماء هو من جنس مجموعة نجوم الثريا التي يكون مسارها في الجهة الشمالية من كبد السماء، وأنه بحكم التجانس يكون الوفاق، ويسقط التعجب.

يقول ابن عربي في اعتراضه، بل تكذيبه لعمر بن أبي ربيعة:

كذب الشاعر الذي قال قبلي
وبأحجار عقله قد رمانني
أيا المنكح الثريا سهيلاً
عمرك الله. كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت
وسهيل إذا استقل يمانني



الأخوان الخُوَّان

ما دار في خلدي أن أكتب موضوعاً عن جفوة بعض الإخوان لإخوانهم، أو جرأتهم على خيانتهم، والغدر بهم رغم ما هنالك من أدلة نموذجية قص علينا القرآن الكريم بعضاً منها، لكن خاطرة توقفت بي عند حديث سمعته من أحدهم أثناء جلسة أدبية كان للحديث عن الأصدقاء والإخوان شطراً من وقتها.. وكاد يكون هناك ما يشبه الإجماع على أن الصديق يكون في كثير من الأمور والحالات التي تتطلب المساندة مادياً ومعنوياً أفضل بكثير من الأخ، وتواردت أمثلة حيّة على ذلك، واستشهد بأسماء معروفة في زماننا، وأشيد بوقوف أصحابها مع أصدقائهم وقوفاً لا يفعله أخو النسب مع أخيه.

قلت: ليس هذا بمستغرب إذ لهم في الأمثال مثل يقول: «رب أخ لم تلده أمك»، وقالوا: «الصديق لا يعرف إلا في وقت الضيق». ولا أريد هنا سرد الأمثلة الدالة على وفاء الأصدقاء بقدر ما أريد الإشارة إلى خيانة الإخوان التي تلحق الضرر بل ربما أودت بهلاك أخيهم لأنها - والمعنى بذلك الخيانة - أكثر ما تكون نابعة من الغيرة التي تملأ الصدر حقداً، وتوجد في النفس حنقاً فإذا واتت الفرصة فعلوا فوق ما يفعله صاحب الثأر والعدو المتربص.

ولقد وقف الشعراء من هذه الظاهرة موقف الباحث عن حل لها من ذلك ما جاء ضمن قصيدة الشاعر عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليمني من علماء القرن الخامس الهجري التي امتدح بها الفقيه أحمد بن أبي بكر القرشي، واستهلها بقوله:

ما ضرَّ وَجْدُ الهوى العذريَّ لو هانا
عن قلب صب أطاع اللهو ولَّهانا

ومنها قوله:

تاجرتُ بالشعر أبغي الربح فانعكست
حالي عليَّ فعاد الربح خسرانا
وخانني من أوصيحابي وغيرهم
من لم يكن قبل صفر الكف خوانا

قالوا: أتشكوا من الإخوان قلت: وما
أفاد كون بني يعقوب إخوانا

ألقوا أخاهم على قرب الرحامة في
غيابة الجب باكي العين حيرانا

وبعدُ باعوه عبداً أبقاً ورموا
به على غير جُرم ذنب كنعاننا

وكم رجال كثيرٍ كنتُ آملهم
ولم يزل لابس الآمال عُرياننا

لا يورق العود من رعد بلا مطر
إذ ليس يُروى سرابُ القاع ظماننا



الاعتراف بالذنب مفتاح لباب العفو

والإنسان عندما يرتكب خطأ بحق إنسان آخر ويريد منه أن يسامحه. ويصفح عنه فإنه يأتي إليه ويعترف بخطئه ليجعل من اعترافه مفتاحاً لطلب العفو عما بدر منه، هذا فيما يختص بعلاقة الإنسان مع الإنسان، أما فيما ترتبط بعلاقة الإنسان مع الله فإن ذلك أجدى وأنفع، وأزكى وأطيب، فطلب العفو والمغفرة والرحمة من الله لا يقارن بأي طلب من سواه.

ونحن إذا ما نظرنا بإمعان إلى أفعالنا وأعمالنا، وأقوالنا، وجميع تصرفاتنا المحسوسة والملموسة في حياتنا العامة، وجدناها لا تخلو بأي حال من الأحوال من الذنوب سواء ما صغر منها وما كبر، ولهذا ندب القرآن الإنسان المسلم بأن يكثّر من طلب العفو والمغفرة وذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وذلك مثل قوله تعالى في سورة الشورى آية ٢٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢٥) ويقول تعالى في الآية ٣٠ من سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيكَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) وقال تعالى في ختام سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وقال تعالى في سورة النساء آية ٦٤: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤). لكن الاعتراف بالذنب له أوان وأوانه الحياة التي هي المهلة لطلب العفو،

وهي الفرصة المتاحة والاستغفار والعمل المقرب لمرضاة الله، أما إذا انقطعت الحياة فلم يعد هناك إلا حساب ونشر صحائف لا يجدي معها ترحم واستغفار إلا أن يشاء الله .

ومما يستحسن لهذا الموضوع من الشعر، قول الشاعر عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليمني من قصيدة امتدح بها النبي ﷺ، وقد استهلها بجملة اعترافات بذنوبه، وذلك بقوله :

أروح وأغدو شارباً كأس غفلة
بماء الأمانِي الكواذب تمزجُ
وأمسي وأضحى حاملاً في بطاقتي
ذنوباً تكاد الأرض منهم تخرجُ
إذا قلت للنفس استعدي بتوبة
أبت وشقى الحظ لا يتَحَجَّجُ
وإن قلت للقلب استقم به تعرضت
له شهوات نارها تتأجج
فكم أنزياً بالعبادة والتقوى
رياء وباب الرشد عني مُرْتَج
أريد مقام الصالحين وليس لي
كمنهجهم في الدين دين ومنهج
وإن حضر الإخوان للذكر والبكا
حضرت كأني لاعب متفرج
فواخجلتي شيب وعيب وقد دنا
رحيلي ولا أدري علام أعرج



من الفرد يتكون المجتمع

والأفراد هم قوام الجماعة. والجماعة قوام الرعاية التي تتطلب قيام دولة تقوم بالتشريع والإصلاح وحراسة القانون، وحماية الفرد.

يقول الشاعر الشيخ محمد الخضر حسين بن علي بن عمر شيخ الجامع الأزهر المولود عام ١٢٩٢هـ والمتوفى عام ١٣٧٧هـ من قصيدة له:

وإنما الشعب أفراد مؤلفة

في هيئة الفرد ذو قلب وذو جسد

وائتلاف الأفراد يشكل بطبيعة الحال قوة تشكل دولة عظيمة مرهوبة الجانب وإلى ذلك أشار الشيخ محمد الخضر في نفس القصيدة بقوله:

والعزّ في الدولة العظمى إذا بُنيت

على أساس من الأحكام مطرد

وحماية الفرد الذي تكونت منه الدولة ملقى على عاتق الدولة نفسها فلا تجعل لأحد على أحد سلطة غير نظامية، بل تقف بكل حزم وصرامة إلى جانب التشريع الذي لا يسمح لأحد أن يعتدي على أن تنصر الحق وتلزم الناس باتباعه، يقول الخضر في نفس القصيدة:

تحمي حقوق بني الإنسان قاطبة

لا يعتدي أحد منهم على أحد

وإذا كانت السلطة والرعاية قائمة بالتماسك مع الرعاية والحكومة فإن استمرارية الدولة كسلطة تنفيذية يبقى ويقوى إذا كان الرأي شورى والتكامل المادي قائماً، يقول الخضر من القصيدة نفسها:

إن الرعية أعضاء مساعدة

للك بالحك بالرأس والأموال والحشد

ومن حكمة الحكومة أن تجعل من أعيان الرعية وأفاضلها مجلساً للشورى تعهد إليه في الأمور التي تتمشكل ويتطلب حلها توحيد الرأي السليم يقول الخضر في قصيدته:

كذا المشاكل لا تجلو غوامضها

إلا بمجلس شورى راسخ العُمد

والمشكلة التي تصادف وتلقى بها إلى مجلس الشورى تكون في حد ذاتها وحينما تتعاورها الآراء شبيهة بالكرة التي تتقاذفها الأقدام حتى تستقر في المرمى، يقول الخضر في قصيدته:

فَمِنْ تَصَادُمِ أَفْكَارِ الرِّجَالِ يُرَى

برق الحقيقة وضاحاً لذى رصد

والدولة التي تجعل من الرعية سنداً لا تألو جهداً في سبيل رفع مستوى الكتاب والسياسيين، يقول الشيخ الخضر في قصيدته:

والقابضون على أمر السياسة لا

يسرهم أن تُرى الأقدام في صفد

لأن المسؤولين في الدولة يدركون أن المحافظة على النظام والمساعدة على تطبيقه لا بد أن يلقي على الرعية جزء منه حتى لا تكون الرعية بمثابة الجاهل الذي لا يعرف معنى للنظام، أو البهيمة التي لا تدرك من الأمر شيئاً يقول الشيخ الخضر في نفس القصيدة:

يسمو بهم شرف الوجدان أن يضعوا

نظامهم بمكان العير والوند

هذه قطوف من قصيدة الشيخ الخضر التي تبلغ ٢١ بيتاً، وقد تضمنها ديوانه «خواطر الحياة».

فلسفة في الزجاج!!

والكأس الذي هو بين أيدينا ننزعه ماءً بارداً في الصيف وماءً معتدلاً في الشتاء ونرتشف من حافته أعز مطلوب وأرخص موجود - وهو الماء - هو أخ الكأس الذي بين يدي أهل الفسق والفجور يترعون خمراً يذهب بعقولهم. ويهدم أخلاقهم ويحبط أعمالهم. ويهبط بمداركهم إلى عالم الحيوان.

وإذا ما نظرنا إلى أهل هذا الكأس فإن البحث يدلنا على أنه مستخلص من التراب الذي هو خليط من عدة مركبات جزئية لا تخلو من وجود ذرات من رفات الإنسان، والكؤوس الزجاجية إذا تحطمت فإنه يعاد صنعها وفقاً لما تحتاجه السوق المستهلكة فقد يكون الإقبال على شراء المحابر فتصنع منه المحابر التي ربما وصفت بأنها عيون العلم لكونها تمد الأقلام بالحبر. فيحصل التدوين والتأليف.

ولقد صور الشيخ محمد الخضر شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ والمولود عام ١٢٩٣هـ جانباً من هذه الفلسفة المنطقية في مقطوعة شعرية جاء فيها قوله:

إن هذا الزجاج يُصنَع كأساً
ليبيت الحلِيمُ منّا سفيهاً
ويصوغ الدواة من بعد كأس
ليصير الجهول حبراً نبيها
فهو كالفيلسوف ينفث غياً
ثم يأتي بما يروق الفقيها

وهذه الأبيات موجودة في ديوان الشيخ محمد الخضر حسين بن علي بن عمر «خواطر الحياة». الذي حققه وعلق عليه الأستاذ علي الرضا التونسي. والديوان مليء بالقصائد الوطنية والاجتماعية كما أنه لا يخلو من الحكمة والفلسفة، وهو كثيراً ما يخاطب قومه ويحثهم على مناهضة الأعداء. وفعل الخيرات. والتوجه إلى الله. وما إلى ذلك من الأساليب التي ينتهجها الدعاة. ومن قصيدة له يذكر فيها مفاخر الأجداد. ويستحث الأحفاد على ترسم خطاهم ترسماً عملياً تبرز فيه الأفعال. دون الاكتفاء بذكر مآثرهم يقول في مثل ذلك:

أمة يُذكي التقى غَيْرَتَهَا
مثلما يُذكي النَّدي نار قراها
أو يُجدي مَجْدُ أسلاف إذا
غرقت أجفانُ خَلْفٍ في كراها
أمة تلهو بذكر تالِدٍ
عن طريفٍ لم ترمِ عَهْدَ صباها
فابعثوها همماً تسمو كما
سمت الجوزاء تزهو في سناها
ما الفخار الحقُّ إلا نهضةُ
أحكم الإيمان والعلم عراها



تصوف ابن عربي أودى بحياته!!

ولا يختلف اثنان على تفاوت عقول الناس وما يرتبط بذواتهم. فالناس في العلم والمعرفة ليسوا على درجة واحدة بل هم مختلفون في بلوغ درجات العلم. وليسوا في الفكر سواء فهناك من يعرف بالعامّة والخاصة، وبينهما طبقة أو قل طبقات يتميز بعضها عن البعض الآخر في السذاجة والنباهة وكل ما يتصل بالتفكير، وهم أيضاً ليسوا على درجة واحدة من العقل وما لا يتصل به. ولذا نجد أصنافاً كثيرة تلحق بها أوصاف مختلفة عندما يمر ذكرها. وذلك كأن يقال: فلان عالم. وفلان جاهل. وفلان حليم وفلان أحمق، وفلان شجاع، وفلان جبان، وفلان غبي وفلان ذكي، وفلان لئيم، وفلان كريم، وفلان سخي، وفلان بخيل، وما إلى ذلك من الأضداد التي لا حصر لها مثل: العقل والجنون، والكفر والإيمان، والصدق والكذب، والوفاء والخيانة، والصبر والملل، والمطوعة والمعصية، والتواضع والكبر، والجد والهزل، والحرص والتفريط، والجمال والقبح.

والحكيم من الناس من يعرف فئات الناس فيتعامل مع كل فئة بقدر ما تستوعبه مداركهم من أنواع التعامل قولاً كان أو فعلاً.

روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» فالخطيب مثلاً يلزمه معرفة مقدار ما تدركه الأذن المصغية له. وتتقبله النفس المقابلة عليه، فلا يخاطب العامة بما يخاطب به الخاصة. ولا يحدثهم بما يحتاج إلى تأويل بعيد عن أذهانهم، ولا بما يحتاج شرحه إلى فلسفة ينكرها فهمهم.

وأكثر الذين يقعون فريسة تعاليهم. هم الصوفية الذين يلحدون في ظاهر أقوالهم. ثم يذهبون في ذلك إلى تفسيرات لا يقنع إلا متصوف اختار لنفسه السقوط من قمة الوضوح الإيماني ونقاء البيان العقيدي، وذلك مثل ما حدث لابن عربي واسمه... أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي والمولود في الأندلس عام ٥٦٠هـ والمتوفى سنة ٦٣٨هـ حينما شطح به تصوفه أمام العامة فقال: «أنتم وما تعبدون تحت قدمي». ففهم العامة جملة على ظاهرها فقتلوه، وباطن الجملة أن الناس يعبدون المال. ويروى أن الكسائي وهو العالم اللغوي المتوفى سنة ١٨٢هـ قد حلف ألا يكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه. ومن المعاني الصوفية في شعره الذي جعل ظاهره غزلاً. وله تأويل لا يدركه إلا هو وإضرابه الصوفيون قوله:

مرضي من مريضة الأجفان
 عللاني بذكرها عللاني
 هفت الورق بالرياض وناحت
 شجو هذا الحمام مما شجاني
 بأبي طفلةً لعوب تهادي
 من بنات الخدور بين الغواني
 طلعت في العيان شمساً فلما
 أفلت أشرقت بأفق جناني
 يا طلولا برامة دارسات
 كم رأث من كواعب وحسان
 بأبي ثم بي غزال ربيب
 ترتعي بين أضلعي في أمان

يا خليلي عرجا بعناني
لأرى رسم دارها بعيناني
فإذا ما بلغت الدار حطا
وبها صاحبي فلتبكياني



وجوب تفهيم النشئ بعدالة التشريع الإسلامي!!

والحياة كما نعرفها ميدان تتصاؤل فيه النفوس، وتجتال في حلبيه الآراء في انسياب وانعكاس وتداخل يجعل الناس منقسمين على أرضيته أقساماً متعددة الاتجاهات ومتباينة في الفكر والمعتقدات، والتقليد والعادات.

وقف الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وألقى نظرة على تعدد الديانات وما يحكمها من قوانين متباينة الأحكام. ليثبت لأصحاب المذاهب والفرق المختلفة أنه ليس كمثل الدين الإسلامي دين. ولا كمذهب الإسلام مذهب. فقال ذلك شعراً منه قوله:

وحياة الإنسان في ميدان حرب

ماله عن ورودها مناص

وأخو الدين يحتمي من أذاها

بحسام غضب ودرع دلاص

وليحقق بأن الدين الإسلامي هو الذي يمنح العقل طموحاته، وهو بأحكامه وبقوانينه وسماحة تشريعاته يكفل السعادة، ويحقق الإنصاف لجميع البشرية بلا استثناء، فهو عام لا يخضع لدولة، ولا لأي ظرف زماني أو مكاني. لأنه قانون سماوي. قال تعالى في سورة البقرة الآيات ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهَهُمْ وَإِلهُنَا وَمَا أُوْتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَّسِيْبِكُمْ ۗ اَللّٰهُ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٧٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
عَبِيدُونَ ﴿٢٧٨﴾ .

ويقول الشيخ محمد الخضر من القصيدة نفسها:

إنما الدين عزة وعفاف
يصرف الطرف عن وجوه المعاصي
وحجاج مثل القواضب إن لم
يك إلا اليقين وَجْهَ الخلاص
وقوانين إن تصدت لفصل
أخذت بالقلوب لا بالنواصي
لو تراءت للعين يوماً لقلنا
هل لهذا الجمان من قناص

وحتى لا ينساق نشؤنا خلف بهارج المذاهب التي تعادي الإسلام
بالتستر حيناً وبالمجاهرة حيناً آخر وتنافي أحكامه بقوانينها الوضعية.
وتعصي تعاليمه. فإنه لا بد أن نزرع في قلوبهم حب الإسلام. ونوضح
لهم عدالة الإسلام. ونقارن لهم بين القوانين الوضعية المقصورة عن
حماية الإنسان وحفظ حقوقه وصيانة عرضه. والقوانين السماوية التي لا
يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، يقول الشيخ محمد الخضر
من القصيدة نفسها:

فمن الخير أن يشب على آ
دابه نشؤنا بغير خصاص
ويح نشئ من الصِّبَاء بطان
ومن الرشد والتقاة خصاص

○ ○ ○ ○ ○

من طريف أخبار كثير عزة

والمصادر التي اهتمت بأخبار كثير عزة ليست بالقليلة، ولم تبخل علينا بالكثير منها خاصة منها كتب التراجم. ولعل أكثر ما قرأته من أخبار كثير هو ما جاء في كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير، والأكثر منه هو ما ضمه كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني.

ومما ذكره الأصبهاني من طريق أخبار كثير قوله: كان كثير آتية الناس وأذهبهم بنفسه على كل حد.

وقال محمد بن سلام الجمحي سمعت ابن أبي حفصة يقول: كان كثير يستقصي المديح، وكان مع جودة شعر خطل وعجب.

وروى أن المسور بن عبد الملك كان يقول: ما ضر من يروي شعر كثير، وجميل أن لا تكون عنده مغنيتان مطربتان.

ويروى عن الزبير بن بكار أنه قال: حدثني عمي قال: قال كثير: ما قلت الشعر حتى قولته: قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان إذا راكب قد دنا مني حتى صار إلى جنبي. فتأملت، فإذا هو من صفر وهو يجبر نفسه في الأرض جراً، فقال لي قل الشعر وألقاه علي. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجن. فقلت الشعر.

ويروى أن سائباً راوية كثير قال: خرجت معه نريد مصر فمررنا بالماء الذي فيه عزة، فإذا هي في خباء فسلمنا جميعاً فقالت عزة: وعليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك ألا تتقي الله أرايت قولك:

بآية ما أتيتك أم عمرو
 فقمتم لحاجتي والبيت خالي^(١)
 أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قط؟ قال: لم أقله ولكنني قلت:
 فأقسم لو أتيت البحر يوماً
 لأشرب ما سقتني من بلال
 وأقسم أن حبك أم عمرو
 لداء غير منقطع السؤال
 قالت: أما هذا فنعم. قال: ثم عدنا فقال كثير: عليك السلام يا
 عزة. فقالت عليك السلام يا جميل: تعني بذلك جملة لأنه ما زال في
 نفسها عليه شيء فقال كثير:
 حَيَّتْكَ عَزَّةٌ بَعْدَ الْهَجْرِ فَانصرفت
 فحي ويحك من حَيَّاكَ يا جمل
 لو كنتَ حَيَّتُهَا ما زلت دامية
 عندي وما مَسَّكَ الإِدلاج والعمل
 ليت التحية كانت لي فأشكرها
 مكان (يا جمل) حَيَّيت يا رجل
 ولقد وصف كثيرٌ عَزَّةً في بعض شعره بأنها مطالة بالوعد وليست بالوفية
 فيما تعده به من لقاء يطلعها فيه على ما به من شوق إليها، من ذلك قوله:
 أقول لها عَزِيزٌ مَطَلَتْ دَيْنِي
 وشر الغانيات ذوو المطال
 فقالت ويح غيرك كيف أقضي
 غريما ما ذهبْتُ له بمال

(١) أم عمرو كنية لعزة معشوقة كثير.

من أساليب خيانة الوطن

يقف الصادق في الانتماء إلى وطنه مبهوتاً عندما يسمح أن أحداً من الناس قد خان وطنه ودمر أهله، لأنه - وأعني ذلك المستغرب - كان مواطناً صالحاً يقيس الناس على نفسه. وخيانة الوطن تعد من أكبر الجرائم التي تعاقب عليها جميع الدساتير الوضعية وغير الوضعية. وخيانة الوطن تأتي من عدة قنوات منها السياسية والعسكرية والعقيدية وما تشتمل عليه من أخلاقيات. وما يدخل تحت مفهوم الأطماع المادية مما ينافي حب الوطن الذي يعد من الإيمان.. والتعامل مع هذه الأشياء. وفي مجالاتها بما فيه مصلحة الوطن. يعد من أقوى التحصينات التي يصعب على الأعداء اختراقها أو تجاوزها ما لم يكن لهم عملاء خونة من داخله يدلونهم على الطرق المؤدية إلى تعطيل هذه القنوات تعطيلاً سهلاً تقبل وتشريد أهله.

وأهل الحكمة يصفون العدو الذي تمنعه السياجات والتحصينات بالسلاح الذي ليس له أنصبة ولا مقابض، ويصفون الخونة الذين يتسللون من داخل تلك السياجات والحصون ويُسرُّون للأعداء بمواطن الضعف، أو ساعة الغفلة، أو ما إلى ذلك من الأمور التي تفتح للعدو باباً كان لا يفكر في طرقة لاعتقاده بأنه محكم الإغلاق بالأنصبة والمقابض التي تجعل لسلاح العدو فاعلية تهدد كل حصن وسياج.

والذي يتتبع نجاح المحاصرة التي يفرضها عدو على آخر يجد أن هناك أدلاء أفضوا للمحاصر - بكسر الصاد - بمعلومات استفاد منها في كسر طوق التحصينات التي وقف أمامها عاجزاً.

قال فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر
المتوفى سنة ١٣٧٧هـ قصيدة حول هذا الموضوع. وقد جعل عنوانها:
«خائنوا أوطانهم» وهي:

عُجْتُ يوماً برياض أجتني
عبراً مما أرى أو أسمعُ
فلمحتُ الفأس ملقاةً ومِنَ
حولها أعناقُ دوح خضع
دوحةً تلحظها قائلة
والأسى ساورها والفرع
هذه قاصمةُ الظهر متى
نزلت بالدوح حان المصرع
فأجابت جاره تُطفئ من
روعها والروع نارٌ تلذع
لا يرُوعنكَ الحديد الصُّلبُ في
أرضنا ينحط أو يرتفع
فهو ما لم يلق من أعوادنا
عَضْداً يُسْعِدُهُ لا يقطع
قلت: مرحى.. حكمة لو ساغها
خائنوا أوطانهم لارتدعوا

○ ○ ○ ○ ○

جمع التفسير

والعالم إذا كان شاعراً فإنه كثيراً ما يصنع قواعد بعض علمه في قصيدة أو منظومة يتيسر على الدارس فهمه، وذلك مثل منظومة ألفية ابن مالك في النحو مثلاً أو غيرها من المنظومات الشعرية التي خدم بها أصحابها طلبة العلم والباحثين.

وقد كان الكثير منهم - وأعني بذلك العلماء - يقصد بذلك تسهيل حفظ قاعدة علمه أو جزءاً من علمه. لأن الشعر بموسيقاه يكون أقرب إلى الحفظ، وأمكن في الذاكرة.

ولا أريد في هذه العجالة استعراض نماذج كثيرة مما خلفه العلماء من أشعار توضح بل تبسط علمهم لتلامذتهم، وإنما أكتفي في هذا بنقل ما قاله حيدره واسمه علي بن سليمان اليمني النحوي التميمي الذي كان يعد من وجوه أهل اليمن وأعيانهم. علماً. ونحواً. وشعراً. والذي كان مولده ببلاد بكيل من أعمال ذمار، وبكيل كما جاء تعريفه في «معجم الأدباء» مخالف من مخاليف اليمن سمي باسم بكيل بن جشم. أما وفاة حيدرة فكانت سنة ٥٩٩هـ ومن شعره الذي حصر فيه جمع التفسير. وجعله ما يشبه القاعدة النحوية لجمع التفسير من حيث ذكر عدد أوزانه. بالإضافة إلى سياقة أمثلة من التفعيلات. وتمثيلها في كلمات تقاس بها. وَيَسْهُلُ بها في نفس الوقت حفظها. هذه الأبيات:

سألت عن التفسير فاعلم بأنها
ثمانية أوزان جمع المتكسر

فأربعة أوزان كل مقلل
وأربعة أوزان كل مكثّر
فَعَالٌ وَأَفْعَالٌ وفُعْلٌ وَأَفْعَلٌ
وَأَفْعِلَةٌ منها وفِعْلَانٌ فانظُرِ
ومنها فُعُولٌ يا أَخِي وفِعْلَةٌ
وتمثيلها إن كنت لما تَصَوِّرُ
جمالٌ وأفراسٌ وأسدٌ وأكبشٌ
وأكسيةٌ حُمُرٌ لفتيان حَمِيرٍ
أتونا عشاء في رُبُوعٍ لفتيةٍ
من التغلبيين الكرام وَيَشْكُرِ
وكلُّ خُمَاسِيٍّ إذا ما جمعته
فآخره فاحذف ولا تتمثّر
فتجمع قِرْطَعِباً قَرِاطِعَ سالكاً
به مسلك الجمع الرُّبَاعِي المَكْثَرِ



وجبة غذاء يصفها الشعراء!!

والذي يقرأ الشعر الذي يتضمن ذكر ألوان الأطعمة، ربما يسيل لعابه إذا كان جائعاً.. وذلك بعدما يتصور المائدة، وقد اصطفت صحنونها المملوءة بالمطبوخ والمشوي والمقلي وكل ما لا يحتاج أكله إلى مشهيات ومقبلات.

وبعض الشعراء تكون له مقدرة على دقة وصف المأكولات الشهية فيجعلك وأنت تقرأ شعره الوصفي تتخيل أمامك المائدة التي وصفها. أو تتصور أنه يجالسك إليها. ويؤاكلك منها. وينادملك في حضورها. قال أبو هلال العسكري ذاكراً للحم والحلوى، والثريدة باستعذاب يفتح الشهية:

تركتُ سمين اللحم يبيضُ بعضه
ويحمرُّ بعض. خلطك الدر بالتبر
وأعرضتُ عن حلواء شق فنونها
فبيضُ إلى حمر وحمراً إلى صفر
إلى ثردة ربطاء قطع فوقها
مقنعة خضراء في ورق خضر

واللحمُ واحد من المأكولات التي يفضلها الإنسان، بل يعتبر من أطايب الطعام.

وفي الحديث: «من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه». والطهاة لهم أساليب متعددة ومتنوعة في إعداد اللحم. بل إن

للطباخين تفتناً في تحضيره وطرقاً مختلفة في تجهيزه للأكل :
وهاجس الشعراء حينما يميل بهم إلى عالم الطباخين ومقار الطباخة
نجده يأتي على ذكر بعض أوصاف اللحم المهيأ للأكل . وكيفية تناوله .
وذلك مثل قول الشاعر العباسي ابن الرومي واسمه أبو الحسن علي بن
العباس بن جريج المولود عام ٢٢١هـ والمتوفى سنة ٢٨٣هـ في دجاجة
مشوية ، وهو قول يعد من أشهر ما قيل في هذا الخصوص :

ظللنا نقشّر جلدها عن لحمها
فكأن تبراً عن لجين يقشّر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها
قدّامها بصهيرها تتغرغر
وتقدمتها قبل ذاك ثريدة
مثل الرياض بمثلهنّ يُصدّر
ومدققات كلهن مزخرف
بالبيض منها ملبسٌ ومدّثر
وأنت قطائف بعد ذاك لطائف
ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر



وقفة مع المكاتبة بالشعر

وللمكاتبات بالشعر لون خاص تتميز به صفحات التراث الأدبي عما سواه من المراسلات بل إنه يمغظ الصفحات مغنطة تجعل القراء يتهافتون على قراءتها.. وفي مجال الرواية. وجدت عناية فائقة من حيث التداول بين الرواية والمتلقي.

وإذا كان لا بد لنا من وقفة على نموذج من المكاتبات الشعرية التي يتخللها شيء من المداعبة بالإسلوب الذي ترتفع منه الكلفة، وتمضي بها السجية إلى مستوى الأدب الذي لا يعرف عامل التصنع وإنما يتم بعامل السليقة وصفاء النفس، فإن أقرب شيء أتناوله هو ما جرى بين ابن الفضل محمد بن العميد، وبين ابن خلاد.

وحكاية هذه المكاتبات يرويها الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» وفيها ما يبين أن ابن خلاد كان قد أهدى شيئاً من الأطعمة وكتب إليه في وصفها. وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له. لكن ابن العميد فيما يبدو لم يستطعها. فكتب إلى ابن خلاد قصيدة طويلة منها قوله:

قل لابن خلاد المُفْضي إلى أمد
في الفضل برّز فيه أي تبريز
ماذا أردت إلى منهوض نائبة
مُدّفع عن حمى اللذات ملهوز
هزرت بالوصف في أحشائه قرماً
ما زال يهتز فيه غير مهزوز

ومنها يقول:

أهديت نبرمة أهدت لأكلها

كرب المطامير في آب وتموز

قال الثعالبي: «نبرمة» لست أعرفها، وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب ويدق ويعجن بحلاوة.

ومنها قوله:

ما كنت لولا فسادُ الحسن تأمل في

جنس من السمن في دوشاب شهريز

والشهريز: والشهريز بالضم والكسر: نوعان من التمر.

أما ابن خلاد فإنه لم يتوان عن إجابة ابن العميد بقصيدة أظهر فيها شيئاً من طلب غرض النظر عنه. والمجارة بالتسامح.. منها قوله:

يا أيها السيد السامي بدوحتة

تاج الأكاسر من كسرى وفيروز

أتى قريضك يزهى في محاسنه

زهو الربى باشرت أنفاس نيروز

يا حسنه لو كفيينا حين يبهجنا

خطب النبارم فيه والشواريز



تقريض كتاب ابن خلاد في قصيدة لابن العميد!!

ومعظم أصحاب الأقلام لا يتوانى عن تقريض ما يهدى إليه من مؤلفات، وعرضة تحت مجهر النقد.

وهذا نهج يطمع فيه المؤلف الذي يرغب في إبداء الملاحظات على ما ألفه. بل إنه يُسرّ بسماع ما يدور حول مؤلفه من آراء، وأفكار ليأخذ في تحاشيها وعدم تكرارها.

لكن هناك بعض المؤلفات التي يجوز فيها التظرف. ومداعة مؤلفيها خاصة منها ما يشتمل على ما يرتبط بالأشياء الملموسة كالمأكولات والمشروبات والملبوسات بل ربما كان تقريضهم كله مداعة لمؤلفيها.

وأمثال المؤلفات التي تم تقريضها بالأساليب الشعرية الدعائية ما ذكره الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» من أن ابن خلاد القاضي واسمه: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الذي أهدى إلى ابن العميد واسمه: أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسن بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد والمتوفى في بغداد سنة ٣٦٠هـ كتاباً في الأطعمة فقرأه ابن العميد قراءة فتحت شهيته للأكل رغم أنه كان إذ ذاك ناقهاً من علة.. لكنه - والمعنى بذلك الكتاب - لا يشبع جائعاً. ولا يطرد قرماً، ولا يسمن ضعيفاً.

ومما يستطرف من العبارات المرتبطة بموضوع الكتاب. والواردة في ذلك التقريض الشعري قول ابن العميد:

فكم حاج من قرم ساكن
وأوضح من شهوة مبهمه

وأرث في كبدي غلة
من الجوع نيرانها مضمرة
وقوله منها:

وهلاً أضفت إلى ما وصف
ت شيئاً نهش لأن نطعمه
وقوله منها:

تعدُّ من الجود وصف الطعام
ولست تقول بأن تطعمه
والقصيدة طويلة جداً فهي تقرب عن أربعين بيتاً. لكن ابن خلد
لم يناسبه هذا التقريض وكان شاعراً فرد على ابن العميد بقصيدة
استهلها بقوله:

هلم الصحيفة والمقلمة
وادن المحيبرة المفعمة
ومنها قوله:

ألا حبذا ثم يا حبذا
كتابي المصنف في الأطعمة
كفانا به الله ما راعنا
بعلة سيدنا المؤلمة
أطاب الحديث له في الطعام
ففتق شهوته المبهمة



بين كثير عزة والحزين

ما من شاعر مرموق إلا وتكون له مع شعراء عصره بعض المطارحات الشعرية، أو التهاجي أو المداعبة، أو ما إلى ذلك من الأشياء، كالمراسلات الشعرية التي تجري بينهم في استشارة ذكريات مضت لهم. أو غير ذلك مما يترجمه واقع الحال القائمة، والعلاقة الرابطة بينهم، فتتناقله الرواة، ويصبح أدباً تحفل به كتب التراث.

والشاعر كثير عزة لم يكن أقل شأنًا في هذه الناحية. بل هو من المتقدمين في صنعها. فقد كان له من ذلك نصيب استحق التدوين. وكُتب له البقاء.. فمن ذلك ما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، حيث روى ما قاله محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدليلين قال: التقى كثير عزة والحزين الدؤلي بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم فضمهما المجلس، فقال كثير للحزين: ما أنت شاعر يا حزين إنما توصل الشيء إلى الشيء، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوك؟ قال: نعم. وكان كثير قبل ذلك قد انتسب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة فهجاه الحزين بقوله:

لقد علقت زب الذباب كثيراً
أساود لا يطنينه وأراقم
قصير القميص فأحسن عند بيته
يعض القراد باسته وهو قائم
وأما أنتمو منا ولكنكم لنا
عبيد العصا ما ابتل في البحر عائم

وقد علم الأقوام أن بني استها
خزاعة أذئاب وأنا القوادم
ووالله لولا الله ثم ضرابنا
بأسيافنا دارت عليها المقاسم
ولولا بنو بكر لذلت وأهلكت
بطعن وأفنتها السيوف الصوارم

قال: فقام كثير فحمل عليه فلكره، وكان الحزين طويلاً أيدياً.
فقال له الحزين: أنت عن هذا أعجز واحتمله فكان في يده مثل الكرة
فضرب به الأرض. فخلصه منه الأزهريون.. فبلغ ذلك الطفيل بن
عامر بن وائلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينه من كثير ليضربه
بالسيف. أو ليطعننه بالرمح. وكان خندف الأسدي صديقاً للطفيل،
فطلب الطفيل في كثير واستوهبه إياه فوهبه له. والتقى بمكة وجلسا
جميعاً فقال: أما والله لولا ما أعطيت خندفاً من العهد لوفيت لك.

قلتُ: وما نقل رد لكثير على ذلك ولعله لا يجيد الهجاء إيجادته
للمديح والغزل.. ومن نماذج مديحه ما قاله من قصيدة امتدح بها
عمر بن عبد العزيز حينما ولي الخلافة وأذن لكثير بالدخول عليه
وإنشاده:

فلما أذاك الملك عفواً ولم تكن
لطالب دنيا بعده في تكلم
تركت الذي يغني وإن كان مونقاً
وآثرت ما يبقى برأي مصمم



صورة كانت واضمحلت!!!

إن رسم الصورة لحياة الذين يعملون بصمت. ويكتمون ما يخالج نفوسهم من بؤس وأسى، ويظهرون لمن يقابلهم بشاشة، وابتسامة، وكأنما نفوسهم خالية من المشكلات التي تثقل الكاهل وتحطم القوي.. قد أصبح ضرباً من الخيال، وشيئاً لا يصدقه الكثير من الناس.. بل إن الناس الذين أصبحت حياتهم قائمة على أساس مادي يقتحم صمته أي خلل في ميزان اقتصادهم.. ولا يجعلون عقولهم خلف ألسنتهم لحظة واحدة يراجعون فيها ذواتهم، ويستصحبون الحسنى في تعديل موازين سير سلفهم ومقاييس الذين يكظمون الغيظ. ويعفون كثير من مستحقاتهم إذا رأوا أن في الحصول عليها مشقة وعناء. حتى وإن تحسرت نفوسهم بسبب ذهابها فإنهم يتخذون من السكوت مطية مسلية لهم. وقنطرة يمرون عليها أمام الناس وكأنهم في حالة عادية لا تظهر عليها سمة التأثير، ولا علامة الكآبة، وإنما بشر وحسن استقبال، وتلطف في اللقاء.

ولقد رسم الشاعر السعودي المعاصر أحمد إبراهيم غزاوي المولود في شهر ربيع الأول عام ١٣١٨هـ، بمكة المكرمة، والمتوفى ليلة الأحد ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٠١هـ بمكة المكرمة حيث دفن في مقبرة المعلى.. أقول لقد رسم هذه الصورة التي كانت موجودة ثم اضمحلت وقل وجودها في حياتنا المعاصرة - حياة المادة - في أبيات جميلة منها قوله:

إن المذهب من يلقاك في مرح
وقلبه بالذي يصلاه مفطور

تخفي سرائره - الأيام - عاصفة
وثغره باسم والوجه محبوب
ويعلن البشر مهما اشتد موغره
واشتط وهوله من ناره النور
ينوء من حملة الأعباء كاهله
من حيث ما هو يبدو وهو مسرور
إذا العيون إليه استشرفت ورنّت
قرت به وتراءى وهو مقرر
بيننا تكون به الأسقام عاتية
وشجوه الشجو مقعود ومنثور
لله ما هو فيه من مكابدة
ومن مصابرة من دونها النير
هذا المذهب لا المهدار منتضحاً
باللغو وهو ولوغ فيه مسعور
أليست هذه صورة تنطق بالحياء وتتفانى في إسعاد الآخرين وإن
كان العجز الجسمي والمادي يغاولها.
ولقد حدثنا الآباء عن مثل هذه الصورة التي يتمثل فيها الإيثار
على النفس، فهل ستعود إلى حياتنا ويمارسها جيلنا؟ هذا ما لا ينبئ به
عصرنا المادي.



ابن عربي يتغزل بمذهبه الصوفي!!

وابن عربي الذي تقدمت ترجمته تحت عنوان «ابن عربي يعترض على ابن أبي ربيعة». كان يتغزل ويفسر تغزله بأنه يقصد به الأسرار الإلهية والعلوم العقلية مستمسكاً بمذهبه الصوفي، وهذا يؤيد قولهم فيه بأنه ذو مسلكين في الحياة: رصين تقي أمام الناس.. مرحاً متساهل أمام أنداده، فعده قوم في الأولياء. وعده آخرون في الملاحدة، وحتى لا يُعَدَّ بظاهر شعره في المتغزلين قام هو بشرح ديوانه «ترجمان الأشواق» وهو شرح عجيب وغريب يخالف النص تماماً ومن نماذج شروحاته. قوله: وقد سمى نفسه (الشيخ): كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزني حالٌ كنتُ أعرفه، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطففت على الرمل فحضرني أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك أحد.. فلم أشعر إلا بضربة بين كتفي بكف ألين من الخز. فالتفت فإذا بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهاً ولا أعذب منطقاً ولا أرق حاشية ولا ألطف معنى ولا أدق إشارة ولا أظرف محاورة منها، قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وأدباً وجمالاً ومعرفة. فقالت: يا سيدي كيف قلت؟ فقلت:

ليت شعري هل دروا

أي قلبٍ ملكوا

فقالت: عجباً منك! وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا! أليس كل مملوك معروف. وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمني الشعور يؤذن بعدمها، والطريق لسان صدق فكيف يجوز لملك أن يقول مثل هذا؟ قل يا سيدي: فماذا قلت بعده؟ فقلت:

وفــــؤادي لــــو درى

أَيَّ شِعْبٍ سَلَكُوا

فقلت: يا سيدي الشعب الذي بين الشغاف والفؤاد هو المانع له من المعرفة، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المعرفة؟ والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا يا سيدي؟ فماذا قلت بعده؟ فقلت:

أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا

أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا

فقلت: أما هم فسلموا ولكن أسأل عنك، فينبغي أن تسأل نفسك هل سلمت أم هلكت يا سيدي؟ فما قلت بعده؟ فقلت:

حَارَ أَرْبَابُ الْهُوَى

فِي الْهُوَى وَارْتَكَبُوا

فصاحت وقالت: يا عجباً كيف يبقى للمشغوف فضلة يحار بها والهوى شأنه التعميم يحذر الحواس ويذهب العقول ويدهش الخواطر ويذهب بصاحبه في الداهيين، فأين الحيرة وما هنا باق فيحار، والطريق لسان صدق، والتجوز من مثلك غير لائق؟ فقلت: يا بنت الخالة ما اسمك؟ قالت: قرّة عين. فقلت: لي، ثم سلمت وانصرفت. ثم أني عرفتها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندها من لطائف المعارف الأربع ما لا يصفه واصف.

وإذا كان المثل السائر يقول: «خزام العي من ذنبه» «دواء الحيوان من بعره» فإنه من الأوفق أن نسوق وبلا تعليق قول أبي العلاء المعري. إذ فيه ما ينطبق على ابن عربي وأضرابه وهو:

لَنَا خَفْضُ الْمَحَلَّةِ وَالْدُنَايَا

وَلِلَّهِ الْمَكَارِمُ وَالْعُلُوُّ

إذا كان الهوى في النفس طبعاً
فليس بغير ميّتها سُلو
وقوله - والمعني أبو العلاء -:

وخلفوا العقل من ورائهم
واستودعوا كل سوء فرعوا
ولم يعوا ما يقول واعظهم
لكن قولَ المخرّصين وعوا



ابن المقرب يخاطب أميمة!!

خاطب الشاعر ابن المقرب واسمه: جمال الدين أبو عبد الله علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار المربعي العيوني البحراني، نسبة إلى البحرين وإلى بلدة العيون في الأحساء، ويعرف أيضاً بالإبراهيمي، نسبة إلى جد له اسمه إبراهيم القليوني قيل: لعلها (العيوني) ولد عام ٥٧٢هـ ومات في بغداد سنة ٦٢٩هـ. قلت: خاطب أميمة حينما أنكرت شبيهة بقوله:

إن تنكري شبيبي أميم فطالما
كنت الأودَّ وغيري المتودِّ

وذلك حينما رآها تعتد بشبابها فذكرها بأن الشباب الذي تتباهى بحسنه سوف لا يخلد:

لا تحسبي أن الشباب وشرخه
يبقى ولا أن الجمال يخلدُ

وإن عشر سنوات كفيلة بذهاب شطر من حسنها ذهاباً لا رجعة فيه، وأنه لا أن يخلق بعدها ويذم بعد ما كان يمدح:

عشر ويخلق شطر حسنك كله
ويذم ما قد كان منه يحمد

وبعده يستمر في تذكيرها بأنه قد كانت لمتة كالغراب. وإن استنكارها لما رآته من الشيب استنكار ليس في محله طالما أنها تعلم علماً تاماً بأن مآل المرء إلى المشيب، ولم يكتف بتذكيرها بذلك

فحسب بل أخذ في إيقاظها من غفلة جحدت بها ما كان له من ماضي مشرف. وذلك بقوله:

لله أيام الصبا إذا دارنا
حجر القرى ولنا باجلة معهد
إذا لمتي تحكي الغداف وإنما
أشهى الشعور إلى العيون الأسود
والخد من ماء الشباب كأنما
فيه لأحداق الكواعب مورد
ويشير إشارة لطيفة إلى ما كان عليه من حال وقت شبابه:

كم ليلة طالت فقصر طولها
شدو المزاهر والغزال الأغيدُ

ويبقى هنا أن أشير إلى أن كل هذه الأبيات كانت مقدمة لقصيدة امتدح بها الأمير عماد الدين أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي وقد بلغ بها خمسة وستين بيتاً. أما مطلعها فهو قوله:

بعثت تهتدُ بالنوى وتوَعَدُ
مهلاً فإن اليوم يتبعه غَدُ



أقوال في تقييم شعر كثير

لقد رصد أبو فرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني» الشيء الكثير مما قيل عن كثير عزة منها قولهم في قوة شاعريته: ما قصد القصيد. ولا نعت الملوك مثل كثير، وتجاوزوا في وصف قوة شعره وبلاغته حد المبالغة فقالوا: لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق.

وروى الزبير بن بكار أنه قال: حدثني بعض أصحاب الحديث قال: كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه.

وروى أبو بكر الموصلي عن عبد الله بن أبي عبيد الله قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره، وكان يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً.

وقيل: إن الزبير بن بكار قال: سئل عمي مصعب. من أشعر الناس؟ فقال كثير، وقال هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي، وعامتهم يعني الشعراء، ولم يدرك أحد في مدح الملوك ما أدرك كثير.

ويروى عن محمد بن سلام الجمحي أنه قال: كان كثير شاعر الحجاز، وهو شاعر فحل لكنه منقوص حظه بالعراق، وقال ابن سلام أيضاً: سمعت يونس النحوي يقول: كثير أشعر أهل الإسلام.

ويروى أن عبد الملك بن مروان قال لكثير نفسه: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره، فقال عبد الملك أما أنك لمنهم.

ويروى عن عوانة أنه قال: قال كثير لعبد الملك بن مروان كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال: أراه يسبق السحر ويغلب الشعر. وعن النضر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً يرويه إياه، ويرده ومن شعر كثير عزة قوله:

وجربت الأمور وجربتني
وقد أبدت عريكتي الأمور
وخاطب عزة مشيراً إلى تغير حاله وما فعلته به صروف الدهر بقوله:

وقد زعمت أنني تغيرت بعدها
ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخلقة كالتني
عهدت ولم يخبر بسرك مخبر
ومن شعره قوله:

ففي القرب تعذيب وفي النأي حسرة
فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر
ويروى أنه بلغه أن عزة مريضة وأنها تشتاقه، فخرج يريدها، فلما صار ببعض الطريق لقيه أعرابي من فهد فقال: يا أبا صخر أين تريد؟ قال: أريد عزة، قال: فهل رأيت في وجهك شيئاً؟ قال: لا، إلا أنني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ينتف ريشه، قال: توفي مصر وقد ماتت عزة، فانتهره كثير ثم مضى إلى مصر فوافاه والناس منصرفون من جنازة عزة فقال:

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة
ينتف أعلى ريشه ويطايره

فقلت ولو أني أشاء زجرته
بنفسي للنهدي هل أنت زاجره
فقال غراب لا اغتراب وفرقة
وبان فبين من حبيب تعاشره
فما أعيف النهدي لا درّ دره
وأزجره للطير لا عزّ ناصره



نريد شعراء من هذا النوع!!

ونحن حينما نقرأ شعر بعض الشعراء المداحين نجده في مجمله إلا ما شذ منه يستحث الممدوح إما بالتصريح أو بالتلميح عن البذل، وعليك أن تتصور أحدهم وهو يلقي مديحته كيف تكون نظراته نحو من يمدحه. فتراه وهو يشد الأبيات يرمق بعينه جيب من يبالغ في مدحه مبالغة يصدق من يصفها بالكذب. والتزلف والتملق، وهذا هو ما يوصف بالمديح النفعي.

أما المديح الذي تشم رائحة عطره. ويصدق في واقع أمره، ويشنف الأذن رنين جرسه، ويجد صادق الوصف مكاناً آمناً في ركنه، وتحمل جاذبية بلاغته على قراءته هو ذلك المديح الشعري الذي يقال فيمن هو أهل للمديح. وينطلق من لسان لا ينظر إلى صلة أو عطية، أو هبة، بل يكون جل اهتمام شاعره منحصرأ في تصوير الحقائق المتمثلة في خصال الشخص الذي يتناول مدحه.

ومثل هذا المديح يدور على محور صلب لا تتغير سمته، ولا تتخلخل قافيته، ولا تضعف قوته؛ لأن شاعره يصارح ممدوحه بأنه ليس هدفه من مديحه نيل مادة.

وما أنا شاعر حاشا علومي
ولست أرى التكسب بامتداح
فلي من أنعم الرحمن مأل
يصون عن احتياج واجتياح
ولم أقصد بمدحك غير رد
أروض به الزمان عن الجماح

هذا هو التصريح بأن القصد من المديح ليس من أجل التكسب..
أما القائل فهو الشاعر ابن الوردي واسمه.. زين الدين عمر بن مظفر بن
عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن الوردي ولد في معرة النعمان سنة
٦٨٩هـ وتوفي في حلب بالطاعون في ذي الحجة سنة ٧٤٩هـ حيث
امتدح شهاب الدين بن فضل الله العمري بقصيدة طويلة جاء فيما قبل
الآيات الثلاثة المتقدمة قوله:

يحق لمن لحاني فيك ذمي
وَحُقُّ لكَاتِبِ السَّرِّ امْتِدَاحِي
ولست سوى ابن فضل الله أعني
شهاب الدين ذي الغرر الملاح
له قلم بفضل الله يحيا
لنا يحيى به بعد انتزاح
أشد من القضاء مضاء أمر
وأجرى في الخطوب من الرياح
فخذها بنت ليلتها عروساً
تُزَفُ إليك كالخود الرдах

○ ○ ○ ○ ○

مداعبة بين شاعرين!!

كان بين ابن الهبارية واسمه الشريف نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة الهاشمي البغدادي العباسي ولد بالهبارية ببغداد وتوفي في كرمان سنة ٥٠٩هـ، وبين البارع البغدادي واسمه أبو علي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب بن عمر الدباس البصري منسوباً إلى صناعة الدبس أو بيعه وإلى محلة البدرية التي كان يسكنها في بغداد، ولد في بغداد في صفر سنة ٤٤٣هـ وتوفي ٢٧هـ جمادى الثانية سنة ٥٣٤هـ.

قلت إن تاريخ الأدب يذكر أن بينهما صفة وصداقة تجرهما في بعض الأحيان إلى مداعبات شعرية يتخللها لدعات ربما كانت موجهة، لكن رباط الصداقة يأسو جراحها ويخفف وقص نقرسها من ذلك ما روي من أن ابن الهبارية ذهب إلى البارع أبو يعلى مرة فلم يجده. فكتب إليه قصيدة طويلة يعاتبه فيها. وقد كان مطلعها:

يا ابن ودي وأين مني ابن ودي؟

غيّرت طبعه السياسة بعدي

وقد فضلت الاقتصار على ذكر هذا المطلع لأترك الفسحة في الموضوع لجزء من رد البارع عليها حيث كان رده كاسمه بارعاً وقوياً وذكياً، كيف وهو يقول في رده:

وصلت رقعة الشريف أبي يغـ

لمى فحلت محل لقياه عندي

وفضضت الختام عنها ظنـ
ك بالصاب إذ يشاب بشهد
بين حلو من العتاب ومرّ
هو أولى به. وهزل وجد
ويقول في نفس القصيدة:

يدّعي أنني احتجبت وقد زا
ر مراراً حاشاه من قبح ردّ
وفيها يقول:

فبما ذا علمت باللّه أني
قد تنكرتُ أو تغيّر عهدي
وفيها يقول:

أتراني لو كنت في النار مع ها
مان، أنساك أو بجنة خلد
أنا أضعاف ما عهدت على العهد
مد وإن كنت لا تكافا بوّد
والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ثلاثة عشر بيتاً كما جاءت في
«تاريخ الأدب العربي».



تنمية الهللة والبارة من مفاتيح التجارة!!

والناس جميعهم أو معظمهم ينشد التجارة، ويسعى حثيثاً لطلبها.. بل لا يألو جهداً في سبيل الحصول عليها والتسمي باسم (تاجر).

والسؤال عن الكيفية التي يكون بها الإنسان تاجراً لا يغرب عن الأذهان. ولا يغيب عن البال.. بل هو قائم وينتقل من السلف إلى الخلف. أما الإجابة عليه فإنها لا تنحصر في وصف واحد أو رسم طريقة معينة تحقق التجارة لا محالة. لأنها تأتي من عدة وجوه وبعده أسباب يوفق إلى الأخذ بها بعض الناس. ويتعذر العمل بها لدى البعض الآخر.

أما الشواهد التي نراها في ميدان التجارة وأسواقها فإنها لا تعطي دليلاً على أن أسلوباً ما يضمن الوصول إلى التجارة.

لكن الذي يتفق عليه في الأخذ بمبدأ المحاولة في الاتجار هو الترشيح في الإنفاق، والتذكير بأن (البارة) وهي جزء من الدينار، و(الهللة) وهي جزء من الريال، أو أي جزء من وجده عملة من العملات، إذا أضيفت إلى أختها وتمت المحافظة عليها ودعمها بأجزاء أخرى بصفة مستمرة، فذلك ما يكون مفتاحاً لباب التجارة الذي ينغلق في وجه من لا يرى للجزء من وحدة العملة قيمة.

ومن الأقايص الشعبية التي يَقرُّبُ مفهومها من هذا المعنى ما روي من أن أحدهم أراد أن يستدين من تاجر فأظهر التاجر موافقته من حيث المبدأ، ثم إن التاجر قصده في منزله، وكان في الكانون الوجود بقية جمر سيشتعل إن هو ألقى عليه حطباً ونفخه.. لكن الفقير أحضر الحطب ليعمل قهوة إكراماً للتاجر فاستخرج عود ثقاب وأشعله في

الحطب دون أن يحاول إشعال الحطب من الجمر ويوفر عود الثقاب
لمرة لا يكون في الكانون جمر.. ولما رأى التاجر هذا التصرف من
ذلك الفقير ينم عن عدم الاهتمام بدقيق وصغائر الأشياء عدل عن
موافقته.. وقال في نفسه هذا شخص لا يعرف كيف يوفر ما يتمكن به
من تسديد دينه إن هو استدان مني.

وحول هذا الموضوع المتعلق بنشوء التجارة بسبب الاهتمام بدقيق
المال وجليله، يقول الشاعر المعاصر أحمد إبراهيم الغزاوي:

أول (الدينار) بارة

ذلك أصل التجارة^(١)

كلما فرطت فيها

عشت نهباً للخسارة

ومن الأمثال قالوا

«تركز الزير الجرامة»^(٢)

وهُمُ قد عـرزوه

«معظم النار الشرارة»

فإذا الموسم ولّى

وقست فيك البصارة^(٣)

ومضى الحجاج حتى

لم تجد إلا الدوارة^(٤)

(١) البارة: اصطلاح تركي وهي جزء من أربعين جزء من القرش.

(٢) الجرامة: هي نواة نبق السدر في عامية الحجاز.

(٣) الموسم: يعني موسم الحج بالنسبة لأهل الحجاز حيث تعمر فيه سوق التجارة
ويحصل التبصر في التجارة.

(٤) الدوارة: نفر قليل لا يحرك السوق ويعمرها.

بين سوق الليل حيناً
و(جِياد) و(القَرارة)^(١)
لم تروِ باحتياج
ولججـاج ومـرارة



(١) سوق الليل: وجياد والقَرارة: أسواق تجارية في مكة.

أحدث ما قرأته من النقد في الشعر الهزلي

المعارض لمعلقة التغلبي!!

وبعض المناسبات يحرك خيال الشاعر ويولد في نفسه قريحة الشعر فينسج شعر يرتبط معناه بظروف المناسبة، فيأتي مترجماً لما يلفت نظره مما يعايش تلك المناسبة من حالة تستوجب الإشارة، وتستحق الوقوف.

ومن الشعراء من يدخل شعره في دائرة الطرائف والنوادر فيسطر صفحة، شعرية من الفكاهة وذلك بمعارضة نوادر الأشعار وعصراوات القصائد، ومعلقات الأوائل بأساليبه الشعرية المرحية، التي تأخذ طابع الهزل في مظهرها حيناً، كوسيلة يقصد بها التندر والتفكه فقط، وحيناً يكون متتهجاً في هزله نقداً هادفاً في تعبير مبسط يتصف بالجازبية الأدبية وبخفة الروح التي تفرض على الناس قراءته ليحصل إدراك سمو هدفه منها، وما ترمز إليه من واقع اجتماعي هو بحاجة إلى إصلاح أوضاع خارجة على الأعراف، والعادات، والتقاليد السائدة في حياة المجتمع.

ولعله من المناسب جداً أن أشير هنا إلى أن معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي قد نالت شهرة واسعة وحظاً وافراً من معارضة الشعراء منذ عرف فن المعارضة إلى يومنا هذا ولعل السبب في توالي معارضتها يعود إلى ما في قافيتها النونية من جرس موسيقي عذب تصغي إليه الأذن إصغاء ينطبع في النفس، ويحرك الإحساس.

أما أحدث معارضة قرأتها لتلك المعلقة من حيث الوزن والقافية فهي قصيدة صنعها الشاعر السعودي محمد بن سعد المشعان، وذلك

بمناسبة حلول شهر رمضان عام ١٤١٥هـ وما يعد من وجبات تقدم للإفطار بأسلوب لحمته النقد الهزلي وسديته الحلمتشية.

يقول عمرو المتوفى عام ٥٢ قبل الهجرة في مطلع معلقته التي سبقت الإشارة إليها:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

أما معارضة الشاعر المشعان لها فمناها قوله:

ألا هبي بصحنك أنقذينا
فبعد الصوم ننتظر الصحونا

قبيل المغرب الرغبات تنمو
وتنتظر المبرد والسرخينا

إلى قدر الحساء لنا اشتياق
ترجمه أيادي الراشفيننا

ومناها قوله:

ألا هبي ببادية عليها
نُعَيِّمِي أردناه سميناً^(١)

ببادية ثوى في العمق منها
«جريقرصاص» زيدي ما نسينا^(٢)

(١) البادية: هي إناء مقعر مختلف الاحتجام يجف فيها الطعام ويقدم للأكلين.. والتعيمي: نوع من أنواع الخرفان.

(٢) جريقرصاص: مجموعة حروف منحوتة، فالجيم والياء: من الجريني نوع من أنواع الأكل مشهور في نجد، والقاف والراء والصاد: من القرصان الرقيقة، والألف والزاء: من الأرز.

ف«السنبوسة» الصفراء زهو
تُسَرَّ به جموع الأكلينا^(١)
ولا تخشى علينا إن دبغنا
بفعل أكفنا ما تطبخينا^(٢)



(١) نوع من المحشيات المقلية.
(٢) دبغ في الأكل أي أكل بشراهة.

تثير العودة إلى البيت بعد النزوح عنه

وتحوّله إلى أطلال، أكثر من سؤال!!

تفرض الحياة في كثير من الأحيان على كثير من الناس النزوح عن بيوتهم وأوطانهم فتسلمها يد الهجرة إلى عامل الطبيعة الذي يقوم بدوره على تغيير معالمها توافقاً مع تقادم العهد على تركها حتى يحيلها إلى رسوم وأطلال تستعبر الواقف عليها.

والذي يعود بعد حقبة من الزمن إلى داره وملاعب صباه يجد أن كل شيء قد تغير وجهه بفعل الهجر وعامل الزمن كما أسلفت، فلا يصدق ما يراه، وما آلت إليه داره وملاعبه، بل ربما أنكرها، واتهم نفسه وذاكرته بأسلوب كله علامات استفهام حيناً وتعجب واستغراب حيناً آخر، ثم يأخذ في مساءلة نفسه.. أهذه هي الدار التي ترعرعت تحت سقفها ودجت بين حجراتها، وهل هذه هي الملاعب التي كنت أرتادها مع أترابي.. ولا يجيبه عن هذه التساؤلات وغيرها، إلّا صمت الأطلال وبقايا الرسوم التي تؤكد أنها هي التي كانت له مهداً ومرتعاً، وملعباً.

والحقيقة أن هذه حالة تجعل الإنسان يتردد بذاكرته بين ظرف المكان الذي ضمه وظرف الزمان الذي يعايشه فلا يجد بثاً من الحديث عن ذلك.

والإنسان الذي تقع له مثل هذه الحالة وتحيط به مثل تلك الظروف لا بد أن يضعها في قصة إن كان كاتباً، أو في قصيدة إن كان شاعراً. وذلك مثلما فعل الشاعر أحمد حامد عبد الخالق الذي وقف على بيته القديم. فأملى عليه وقوفه قصيدة جعل عنوانها «البيت القديم» منها قوله:

قد عدت للبيت القديم الغالي
قد عدت تحملني خيول خيالي
جيش من الذكرى يحيط بموكبي
وقوافل تنرى من الآمال
وعلى شفاهي كم جرت أنشودة
وعلى المسامع رجعة الموال
ومنها قوله مصوراً الحالة التي آل إليها بيته:
ووجدت نفسي بين أنقاض هوت
بالذكريات على رفوف رمال
البيت أين البيت؟ أين أحبتي؟
أين النهار الحلو؟ أين ليال؟
بل أين حجرات درجت بقلبها؟
كم أسرفت في نشوتي ودلالي
ومنها قوله معلناً فشله في نيل ما كان يطمعه من سلو. وراحة
نفس عند رؤية بيته القديم:
يا بيتنا الغالي أتيتك راجياً
قتل الظما في نهرك السلسال
فوجدت أيامي يجرجر بعضها
بعضاً وأنفاسي بكف ملال
والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢١ بيتاً وقد نشرها ملحق
«الأربعاء» الصادر في ٢ صفر ١٤١٤هـ والتابع لجريدة «المدينة».



أحمد قنديل، شاعر صنع قنديلاً مضيئاً من شعره

وأحمد صالح قنديل شاعر سعودي معاصر ولد في مدينة جدة عام ١٣٢٩هـ وكان أبوه مدرساً للقرآن في مدرسة الفلاح، وقيل: إنه من أشهر المقرئين والمؤذنين، وأنه كان رجلاً ظريفاً سريع النكتة حاضر البديهة، أنيس المجلس، وقد ورث عنه ابنه هذه الصفات.

وكان أحمد قنديل قد تلقى علومه الأولية في مدرسة الفلاح التي حصل على شهادتها عام ١٣٤٥هـ ثم عمل مدرساً بها، ثم انتقل إلى مكة وأصبح رئيساً لتحرير جريدة «صوت الحجاز» في الفترة من ٤ شعبان عام ١٣٥٥هـ حتى ١٢ شعبان سنة ١٣٥٦هـ، ثم عاد إلى جدة وعمل في مكتب رئيس وكلاء مطوفي - الجاوه - ثم انتقل إلى مكة وعمل بديوان التحرير بوزارة المالية. ثم عين رئيساً لمصلحة أملاك الدولة بوزارة المالية، ثم تولى إرادة الحج بجدة في أول تأسيسها، ثم أصبح مديراً عاماً لها، ولما أحيل إلى التقاعد سافر إلى مصر وهنا افتتح مكتباً تجارياً. ثم عاد إلى الحجاز ومنه سافر إلى بيروت وقد تفرغ هناك إلى متابعة أعماله الفنية، وأنشأ دار نشر ثقافية نشر من خلالها معظم إنتاجه الأدبي والشعري.

وكان اسمه المستعار الذي يكتب تحته هو «الصموت الحساس» وكان شاعراً وفي بعض أشعاره فكاهة وطرافة، وكان يخلط في بعض أشعاره بين العامية والفصحى، ومن أعماله الأدبية «قاطع الطريق» شعراً. و«الأصداف» شعراً. و«الجبل الذي صار سهلاً». و«قريتي الخضراء» شعراً. و«نقر العصفير» شعراً. و«أبراج» شعراً. و«أصداء» شعراً. و«أغاريد» شعراً. و«أوراق الصفراء» شعراً. و«الراعي والمطر» شعراً. و«شمعتي تكفي» شعراً. و«كما رأيته» يوميات. و«اللوحات» شعراً.

و«المركز» شعر شعبي. و«مكتبي قبلتي. عداذه ونار» شعراً. و«أبو عرام والشبكة» و«جدة عروس البحر» و«الراعي والغنم» و«جدة» شعراً. ومن قصائده المودعة في «أوراق الصفراء» قوله:

أوراقك الصفراء ماذا بها
من سرك المكنون في صدرها
آليت أن أسمع في كهفها
أصداء عمر عاش في عمرها
وأن أرى قلبك يا شاعري
في شعره الملفوف في شعرها
فقلت لا بالله لا تفضحي
ما فات من أمري ومن أمرها
لا، لا، دعيها أو دعيني هنا
يا حلوتي بالقاع من قبرها
فإنها أمس لنا ماضياً
وارته عنا خلف أستارها
وأنها لا شيء بعض الهوى
قد نام منسياً على نحرها
تلك هنات القلب في صبوة
عاشت بقاياها على ذكرها
والقصيدة أطول من ذلك بكثير.

أما وفاته رحمه الله فكانت في صباح يوم الجمعة ١٢ شعبان عام ١٣٩٩ هـ وهو يقرأ صحف الصباح، ويهم بكتابة موضع الزاوية كان عنوانها «قناديل».

فحش التشيع عند كثير عزة!!

تنقل لنا كتب التراث الأدبي صوراً من حياة الأعلام، فتكون الوثيقة الوحيدة التي يحكم بها على أي علم من الأعلام الذين بلغ الاهتمام بسير حياتهم حداً لا يطلب مزيداً عليه.

والشاعر كثير عزة، واحد من الأعلام الذين أخذت سيرهم الذاتية، وأعمالهم الأدبية مكاناً من صفحات التاريخ الأدبي.

وعن جانب من حياة كثير المذهبية البشعة جاء في كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير، ما روي عن الزبير بن بكار أنه قال: كان كثير عزة شيعياً خبيثاً يرى بالرجعة، وكان يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [سورة الانفطار: ٨].

وجاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني أن عبد الله بن حسن دخل على كثير يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له كثير: أبشر فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق، فقال له عبد الله: مالك عليك لعنة الله فوالله لئن مت لا أشهدك. ولا أدعوك ولا أكلمك أبداً.

وفيما له صلة بهذا جاء في كتاب الأغاني أيضاً أن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري حدث قائلاً: بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت، فقال له كثير: لا تبك فكأنك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعاً إليكم.

ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يقول: إن مما اعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير. من أحبه منهم فهو فاسد،

ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشيئاً يقول بالرجعة.

وروي عن محمد بن الضحاك أنه قال: كان كثير يتشيع تشيعاً قبيحاً، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت، قال: وكان ذلك رأي السيد، وقد قال فيه يعني السيد شعراً كثيراً منه:

ألا قل للوصي فدتك نفسي
أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا
وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا
مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت
ولا دارت له أرض عظاما
لقد أوفى بمورق شعب رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له به لمقيل صدق
وأندية تحدثه كراما
هدانا الله إذا جرتم لأمر
به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى
تروا راياتنا تترى نظاما



تقادم العهد يجعل بعض قصائد المعاناة فكاهة!!

إن لغة الفقراء لا تخلو من ذكر بعض الأشياء التي يعوزهم، ويحول الفقر دون الحصول عليها، بل إن بعضهم يسمي تلك الأشياء بأسمائها في أسلوب هو أقرب في بساطته ولغته إلى الفكاهة.

وواقع حال بعض الشعراء الفقراء يترجم في بعض المواقف بلغة شعرية ما هم في حاجة إليه، فتبقى تلك الترجمة الشعرية متداولة بين الرواة فترة من الزمن وهي تلامس الشعور ملامسة ربما تكون مؤلمة في بعض الأحيان، لكنها مع تقادم العهد تصبح نوعاً من الأدب الفكاهي، وما هو مستطرف من أخبار القدامى.

والذي قرأ قول جحظة البرمكي، واسمه: أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم الذي ولد عام ٢٢٤هـ وتوفي عام ٣٢٤هـ من معاصريه لا يعده فكاهة مثل ما نحن قد صنفناه في الأدب الفكاهي، وإنما هو يصفه بأنه ترجمة لمعاناة حقيقية يتألم منها جحظة، والذي أعنيه من قوله هو:

الحمد لله ليس لي كاتب

ولا على باب منزلي حاجب

ولا حماراً إذا عزمْتُ على

ركوبه قيل: جحظة راكب

ولا قميصٌ يكون لي بدلاً

مخافةً من قميصي الذاهب

وأجرة البيت فهي مقرحة
أجفان عيني بالوابل الساكب
إن زارني صاحب عزمته على
بيع كتاب لشبعة الصاحب

والقصيدة أطول من ذلك كما جاءت في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي.. ومن البيت الأخير من الأبيات المتقدمة نتبين أن الكتاب عند جحظة البرمكي أعز مقتنياته، أو هو الوحيد من أشياءه التي لها قيمة حينما يعرضها للبيع، لكنه جعل بيعه آخر ما يحل به الأزمة التي تسببها زيارة صاحبه له.

ولجحظة مخاطباً بشكل عام هنذاً، عن حياته الاجتماعية المملوءة بالمعاناة وضائقات الزمان التي تصبها الأيام عليه في صورة اضطهادية تملأ نفس العاقل كآبة وألماً حينما يرى الرأس منخفضاً، والذنب مرتفعاً، والأمور تسير عكس ما يدور في خلد العاقل:

لا تعجبي يا هند من
حالي فما فيها عجب
إن الزمان بمن تقد
م في النباهة منقلب
فالجهل يضطهد الحجي
والرأس يعلوه الذنب



أبيات مزهرة من قصيدة زهرانية!!

قرأت للشاعر السعودي المعاصر حسن محمد الزهراني قصيدةً
مزهرة. أستطيع أن أسميها - زهرانية - إذ هي غاية في حسن التعبير
وجودة السبك، فلا أجد للتعليق على كمال صورتها إلا القول بأنه نفث
فيها روح الأصالة الشعرية فجاءت متكاملة تجلت له فيها من الخواطر
ما جعله يحطم محبرته ويناجي قلمه مناجاة صادقة، وقف فيها على
مسؤولية قلمه، وما هو ملزم به من مهمات مأساوية يجب أن يترجم
التغلب عليها بحروف مدادها من دمه.

لم يبق في كفي سوى قلبي فما
جدوى البراع وقد فقدت دواتي

فغرزت في وسط الوريد لسانه
وسقيته بدمي ونبض حياتي
ثم يأخذ في مصارعة المعاناة إلى أن يظفر بالتغلب على المآسي
التي كانت تكتنفه:

إنني قضيت مع الأسى عمري فما
لانت له طول الحياة قناتي
كانت سجالاً حربنا فهزمته
ورفعت فوق حصونه راياتي

لكنه بماذا انتصر، وما هو نوع سلاحه؟
سيفي هو الإيمان بالله الذي
بعث الرسول بمحكم الآيات

ولا بد أن يكون لهذا الانتصار نشوة تفتح أمامه الطريق قد مال
إليه قلبه، وتشوقت إلى سلوكه نفسه، فماذا يا ترى ستكون وجهته التي
سيفصح عنها في ختام قصيدته؟ إنها توجه إلى الله، وتوبة عما اجتρχه
من الذنوب.

كسرت أكواب الذنوب جميعها
وأفاق قلبي بعد طول سبات

وبعدما أفاق قلبه، واستيقظ عقله، حدد اتجاه زورقه الإيماني نحو
الغابات التي يجد فيها رضا الله.

وتركتُ غاياتي وأبحر زورقي
نحو الإله لأنبل الغابات

ويختتم الشاعر حسن محمد الزهراني هذه القصيدة الإيمانية بيت
ابتهالي لا يستبدل بغيره فيمثل هذا الموقع الختامي.. وهو قوله:

يا غافر الزلات جئتك تائباً
فاجمع بجنات النعيم شتاتي

والقصيدة قرأتها منشورة في جريدة «الندوة» العدد ١١٠٣١ الصادر
يوم الأحد ١١ شوال عام ١٤١٥هـ.



بساطة الحياة في صورة يرسمها الغزاوي للراعية!!

وحياة الناس الذين عاشوا العصور التي قبل عصرنا هذا، حياة كلها بساطة، تقوم على عدة عوامل، منها المكتسب تلقائياً، ومنها ما ألزمت الحاجة إلى معرفته كالمبادئ الحرفية وأساسيات المهن اليدوية، وصناعات الخامات المحلية كغزل أصواف الأغنام ونسجها، ونجارة الأواني المنزلية من الأخشاب مما تفرض الحاجة إليه، وما عدا ذلك فالتقايض هو عامل التعايش فيما بينهم.

وحياة كهذه الحياة التي مر بها أسلافنا تكون بعيدة كل البعد عما نحن عليه من زخم تكنولوجيا الصناعة، وملاحقة الأخبار، وكل جديد في العالم بأجهزة الإعلام الإلكترونية المسموعة والمرئية.

وإذا ما ابتعدنا قليلاً عن هذا الواقع بحركة الرجوع إلى عصر أسلافنا نجد صورة مشرقة من حياة البساطة التي ابتعدت بمن عايشها عن الهموم المرتبطة بالمادة.

ويقف بنا الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي أثناء رجعتنا بالذاكرة إلى الماضي على مشهد من مشاهد بساطة الحياة حيث تم له صنع قصيدة أثارتها في نفسه رؤية فتاة ترعى الغنم، وعجوز تلحق بها متأبطة مغزلاً.

أسمعه وهو ينقل مشاهدته تلك:

طوبى لربعك من «هيفاء» كاعبة

تمشي الهوينى وتعدو وهي تلتثم

وقيد باع تقفاها مبارية

خلف القطيع (عجوز) خطوها أمم

تأبطت مغزلاً تلهو به وله

منها الحنان الذي بالحب يلتئم

وبعد أن يذكر أن رسمه لهذه الصورة كان في يوم غائم وممطر،
يشير إلى أن البهم والشويحات كانت تلتف حول تلك الفتاة التي يعود
ليذكر شيئاً من سمو خلقها وما جبلت عليه من عفة وحياء وأنوثة:

بين الحذور وفي الصحراء قد فطرت

على العفاف فلا أثم ولا لم

غيداء تستلب الألباب فاتنة

تغضي حياء وتأبى كل ما يصم

ثم يمثل إلى التغزل فيها بقوله:

تحجبت كلها إلا وصاوصها

ودونها السحر كل السحر يرتسم

ويضمن قول جرير في وصف العيون فيقول:

«إن العيون التي في طرفها حور»

أخلق بها أن توارى وهي تقتحم

فكم قتلن (جريراً) قبلنا وقضى

ونحن منها بتقوى الله نعتصم



الاعتراض في المعارضة!!

في لغة الشعر الجدلي الذي يقوم على مقارعة الحجة بالحجة، أو نفي رأي باطل بحجة دامغة، يبرز مفهوم الاعتراض على ما يودع في بعض القصائد من آراء ومبادئ لا يقوم الإجماع على صحتها، وذلك بأسلوب يعرف بالمعارضة التي من أهم قواعدها التزام وزن وقافية القصيدة المعارضة التي كانت قد تضمنت من الأشياء الفكرية أو العقيدية أو غير ذلك ما يوجب الاعتراض عليها في معارضتها.

وفي مثل هذه الصفة نجد في الأشعار ما يدخل في مفهوم الاعتراض في المعارضة. إذ إن في الجدل الشعري ما لم تتفق فيه القافية والوزن فكثيراً من القصائد المتناوحة لا تكون مرتبطة في جملتها بوزن وقافية موحدة حيث يخشى كل شاعر من المتجادلين أن يسبب له التزام قافية صاحبه ضعفاً في أسلوبه الشعري فيحاول تجنب القافية التي طرقها صاحبه أو بالأصح - ضده - كيلا يحمله الالتزام بها على التخلي عن بعض أفكاره التي ربما لا تنقاد للقافية المطروقة.

ومن صور الاعتراض في المعارضة ما ودع به شهر رمضان كل من الشاعرين: أمير الشعراء أحمد شوقي، والشاعر الدكتور جابر قميحة، فشوقي ودع رمضان وداعاً غير لائق حينما قال من قصيدة له:

رمضان ولّى هاتها يا ساقى

مشتاقه تسمى إلى مشتاق

ما كان أكثره على ألافها

وأقله في طاعة الخلاق

بالأمس قد كنا سجينى طاعة
واليوم مَن العيد بالإطلاق

وقد أنكر الشاعر الدكتور جابر قميحة على شوقي هذا التوديع
لشهر رمضان وإنكاراً صاغه بلهجة اعتراض في أسلوب شعري معارض
لقصيدة شوقي وذلك بقوله:

لا يا - أمير الشعر - ما ولى الذي
آثاره في أعماق الأعماق
نور من الله الكريم وحكمة
عُلوية الإيقاع والإشراق
فالنفس بالصوم الزكي تطهرت
من مآثم ومجانة وشقاق

لا يا - أمير الشعر - ليس بمسلم
من صام في رمضان صوم نفاق

لا يا - أمير الشعر - ما صام الذي
رمضانه في زمرة الفساد

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٥ بيتاً وقد نشرتها جريدة
«المسلمون» في عددها ٥٢٦ الجمعة ٢ شوال عام ١٤١٥هـ.



من هو قانصوه الذي انتقد علماء عصره!!

يذكرنا التاريخ بأيام حكم المماليك لمصر وما آل إليه من اضطرابات وفوضى.. وتتبع أخبارهم يحتاج إلى بحث طويل جداً. ولكنني اخترت الإشارة إلى آخرهم لكونه شاعر وأديب وحكيم أيضاً، وهو قانصوه بن عبد الله الجركسي الغوري المولود سنة ٨٥٠هـ تقريباً وهو من جملة مماليك الأشرف قايت باي، فأعتقه وولاه عدداً من الأعمال الإشرافية المهمة، وتدرج في أعماله حتى تولى الوزارة في سنة ٩٠٦هـ في أيام طومان باي الذي تولى الحكم نحو مائة يوم كانت مملوءة بالاضطرابات فأجمع القواد والأعيان على أن يولوا قانصوه على العرش رغم عدم اقتناعه، فكانت أيامه استقراراً وأماناً وأماناً وعمراناً.

ولما بدأ السلطان سليم العثماني فتوحاته في البلاد العربية سنة ٩١٨هـ التقى جيشه بجيش قانصوه في مرج دابق قرب حلب وذلك سنة ٩٢٢هـ وقتل قانصوه وانهزم جيشه. ومن صفات قانصوه أنه كان أديباً شاعراً محباً للعلم واسع المعرفة ملماً بثقافة عصره. وكان يعقد المجالس للمناظرة.

روي عنه أنه قال: جاء جماعة من العلماء إلى خدمتي ومعهم قصة، وفي عنوانها مكتوب: «والله الغني وأنتم الفقراء»، فقلت في جوابهم: فإذا عرفتم ذلك، فلماذا تركتم الغني وطلبتم من الفقير؟ بل المناسب أن تكتبوا على قصتكم: «إن أعطيت فالإعطاء من الله، والأمر مسوق إليك، وإن منعت فالمنع من الله والعتب محمول عليك». ثم قال: رأيت هذه العبارة مكتوبة على حائط فحفظتها.

ومن شعر قانصوه قصيدة صنعها في ذكر الأيام والليالي المباركة،
منها قوله:

لله في أيامنا نفحات
من دهرنا تزكو بها الأوقات
فيها.. ألا فتعرضوا وتضرعوا
فيها تجاب لكم بها الدعوات
هذي مواسمها لنا قد أقبلت
ودنا بموعدها لنا ميقات
فبفضل شعبان وليلة نصفه
يروي الصحيح من الحديث ثقات
وفيهما يبتهل إلى الله بأن يصلح له ملكه ويسعد رعيته، ويجمع
قلوب عساكره ويصلح نياتهم:

يا ربنا فيها تقبل دعوة
لي منك فيها تشمل الخيرات
أصلح لي الملك الذي قلدتني
وصلاحه أن تسعد الحركات
وتدّر أرزاق الرعية فيه في
أمن ففيها تنزل البركات
وأجمع قلوب عساكري جمعاً به
تصفو وتصلح منهم النيات

○ ○ ○ ○ ○

الحزين واحد من الشعراء الهجائيين!!

والهجاء بمختلف تعبيراته وأشكاله وأساليبه، يعد فناً من فنون الشعر، فهو إن جاز التعبير ثالث الأثافي لصناعة الشعر بصفة عامة، إذا قلنا أن معظم ما نقرؤه من الأشعار يدق على ثلاثة محاور رئيسية هي: المديح، والهجاء، والغزل، والذي لا بد من ملاحظته على هذه المحاور هو أن البعض من الشعراء يعطل حركة المحور الثالث الذي هو الهجاء لأسباب ربما تكون عند الشعراء الإسلاميين نابعة من الامتنال للتعاليم الإسلامية، التي تنكر على المسلم الفحش في القول لكن ضعف الوازع الديني لدى بعضهم يحمله على تجاوز النهي، فيطلق لسانه بكل حرية، ولهذا فإن عدد الشعراء الإسلاميين الهجائيين يتزايد عبر السنين وعلى امتداد القرون تزايداً يصعب حصره.

والشاعر الحزين واسمه كما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك بن حريث بن جابر بن بكر، أنهى نسبه إلى عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وقيل هو مولى وأنه الحزين بن سليمان، ويكنى أبا الحكم، وهو من شعراء الدولة الأموية، وواحد من الشعراء الهجائيين.

روي عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال: صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لؤي يلقب أبا بعرة، وكان استعمل على سعايا فلم يصنع معه خيراً، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فحمدهما فقال له:

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل
وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً

وجادا كما قصرت في طلب العلا
 فحزت به ذمّاً وحازا به شكرا
 ومما هجا به أبا بكرة واسمه عيسى قوله:
 أولاك الجماد البيض من آل مالك
 وأنتم بنو قين لحقتم به نذرا
 يسوّق ببغبورا أميرا كأنما
 تسوق به في كل مجمعة زبرا
 فإن يكن البغبور ذم رفيقه
 قراه فقد كانت أمارته نكرا
 ومَتَّبِع البغبور يرجو نواله
 فقد زاده البغبور في فقره فقرا
 ويمعن الحزين في هجاء سعد بن إبراهيم فيصفه من حيث الشكل
 والخلق بالظفر الممتلئ وسخاً.
 قال أبو فرج الأصبهاني: أخبرني الحرّمي، قال: حدثنا الزبير،
 قال: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: قال الحزين لهلال بن
 يحيى بن طلحة:
 هلال بن يحيى غرة لا خفا بها
 على الناس في عسر الزمان ولا اليسر
 وسعد بن إبراهيم ظفر موسى
 فهل يستريح الناس من وسخ الظفر
 قال: يعني بذلك سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وقد
 كان ولي قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يعط الحزين شيئاً
 فهجاه.

عزة تمسح الدم من يد كثير بثوبها

وعزة التي شُبب بها كثير تشبيهاً نسب إليها بسببه فقليل له «كثير عزة» بضم الكاف هي عزة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار - وكنيتها أم عمرو.

وامرأة يشبب بها الشعراء ويصفون جمالها وصفاً مهولاً لا بد أن تكون محط أنظار الناس. خاصة منهم الفضوليين.

أما عزة فقد شُغف نساء عصرها برؤيتها.. فروي أن يعقوب بن حكيم السلمي حدث عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الإسلامية، وكنيتها أم البنين قالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها، فرأينا امرأة حلوة حمراء نظيفة فتضاء لنا لها ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق إلى أن تحدثت ساعة، فإذا هي أبرع الناس وأحلام حديثاً. فما فارقتها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالاً وحسناً وحلاوة.

ويروى عن الهيثم بن عدي أن عبد الملك بن مروان سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فقال: حججتُ سنة من السنين، وحج زوج عزة بها ولم يعلم أحد منا بصاحبه، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي فلما رأيته جعلت أبري وأنا أنظر إليها، ولا أعلم حتى برت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري فلما تبينت ذلك دخلت

إليّ فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحي
من سمن فحلفت لتأخذنه، وجاءت إلى زوجها بالسمن، فلما رأى الدم،
سألها عن خبره، فكاتمته حتى حلف لتصدقنه، فصدقته فضربها وحلف
لتشتمني في وجهي، فوقفت علي وهو معها فقالت لي:

يا ابن الزانية وهي تبكي ثم انصرفا، فذلك حين أقول:

يكلّفها الخنزير شتمي وما بها
هواني ولكن للمليك استذلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

أسيئي بنا أو احسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية إن ثقلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

تمنيتها حتى إذا ما رأيتها
رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

كأنني أنادي صخرة حين أعرضت
من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة
فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى
وجن اللواتي قلن عزة جنت

والقصيدة أطول من ذلك كما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج
الأصبهاني.

بقدوم رمضان تبتهج نفوس وتشمئز نفوس!!

وإذا ما أقبل شهر رمضان.. انقسم من كان مفروضاً عليه صيامه إلى قسمين.. قسم تبتهج نفوسهم وتنشرح صدورهم بقدومه، حيث يعتبرونه مائدة روحية يلتذون بها، ويسعدون بالتقرب من خلالها إلى الله، فيسألونه الرحمة، والمغفرة والعق من النار.

وقسم تظهر على نفوسهم بل وعلى وجوههم حين قدومه علامات الكراهية له حيث يعتبرونه مانعاً لما اعتادوه من ممارسة للهو واللعب والمجون، وتضييع الوقت فيما لا يرتبط بعبادة مفروضة، أو صلة عامة بالله.

وبخروج رمضان يستبشرون جميعاً، ولكن استبشارهم يختلف في مفهومه لدى كل فئة، فالفئة التي ابتهجت بقدومه واستبشرت بخروجه، وفرحت أيام عيده فرحاً غمر نفوسها بالطمع مع أن الله قد تقبل منها صيامه وقيامه، وبالثقة بأنها بجميل عفو الله وغفرانه قد فازت في يوم العيد بجوائز ربها.

أما الفئة التي اكتئبت واشمئزت من قدوم شهر رمضان فهي تستبشر بخروجه لتنتقل لاهية لاعبة بكل شيء يزيدها بعداً عن الله.

ويترجم هذا التناقض القائم بين تلك الفئتين في حب رمضان وكرهه شعراء كل فئة، فشاعر الفئة التي كرهت دخول رمضان وفرحت بخروجه هو أمير الشعراء أحمد شوقي وذلك بقوله:

رمضان ولّى هاتها يا ساقى

مشتاقه تسعى إلى مشتاق

أما شاعر الفئة التي أحبت رمضان واستبشرت بقدومه وتمنت أن
تدوم أيامه ولياليه لتزداد من فيض رحمت الله فيه فهو الشاعر الدكتور
جابر قميحة وذلك بقوله في معرض رده على شوقي:

لا يا أمير الشعر ما صام الذي
منع الطعام وهمه في الساقى
من كان يهوى الخمر عاش أسيرها
وكأنه عبد بلا.. إعتاق
الصوم تربية تدوم مع التُّقى
ليكون للأدواء أنجع راقى
هو جنة للنفس من شيطانها
ومن الصغائر والكبائر واقى
الصوم يا شوقي إذا لم تدره
نور وتقوى وانبعث وراقى

* * *

رمضان يا شوقي ربيع قلوبنا
فيها يشع أطايب الأعبا
إن يمضي عشنا أوفياء لذكره
ويظل فينا طيب الأعراق

○ ○ ○ ○ ○

صور من المديح ومن الهجاء في شعر الحزين!!

يقولون: من قال: «نعم» في المديح فإنه يجيد قول: «بئس» في الذم والهجاء، وهذا هو شأن كثير من الشعراء إذ أن منهم من يقلب ظهر المجن لمن كان قد بالغ في مدحه، فينقض ما أبرم ويبالغ في هجاء من كان قد امتدح، أو أنه إذا ما سار في مديح شخص ما فإنه ربما قارنه بشخص آخر مقارنة يقصد بها هجاءه ويجعله على طرف نقيض ما يمتدح به من حركة صلاته قريحة الشعر وفرضت امتداحه، وواقع الحال أن لكلتا الحالتين دواعي وأسباب ييوح بها الشاعر حيناً وحيناً يتكتم عليها.

روى الأصبهاني عن الزبير بن بكار قوله: حدثني مصعب قال: مر الشاعر الحزين على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحرث وعليه أظمار فقال له: يا ابن أبي الشعثاء إلى أين أصبحت غادياً؟ قال: أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحرة يريد الحج وقد كنت وفدت إليه بمصر فأحسن إليّ. قال: فما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرني أحد منهم غير هذه الثياب، فدعا جعفر غلاماً، فقال: ائتني بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك، فقال: بل وأخلق، فلما ولي الحزين قال جلساء جعفر له ما صنعت إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها، ويغدر بثمانها، قال: ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنع بها. فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه، فلما أصبح الحزين أتى جعفرًا ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده:

وما زال ينمو جعفر بن محمد
إلى المجد حتى عبلته عواذله
وقلن له هل من طريف وتالد
من المال إلا أنت في الحق باذله
يحاولنه عن شيمة قد علمتها
وفي نفسه أمر كريم يحاوله
ثم قال له: بأبي أنت وأمي قد سمعت ما قالوا وما رددت
عليهم، وعلى نقیض هذا المدح هجا عمرو بن عمرو بن الزبير
بقوله:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد
ولكنه كز الیدین بخیل
ينام عن التقوى ويوقظه الخنا
فيخبط أثناء الظلام فسول
فلا بشر من عمرو لجار ولا له
ذمام ولكن للئام وصول
مواعيد عمرو ترهات ووجهه
على كل ما قد قلت فيه دليل
جبان وفحاش لثيم مذمم
وأكذب خلق الله حين يقول
كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع
وكعب بن عمرو في الرخال تطول

فبلغ شعره عمراً فقال: ماله لعنه الله ولعن من ولده لقد هجاني
بنية صادقة ولسان صنع ذلق، وما عداني إلى غيري. قال: فلقى الحزين

عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات، فقال له: ويحك بعضها كان
يكفيك، فقد بنيتها ولم تقم أودها وداخلت معانيها في أكمها، قال
الحزين: ذلك والله أرغب للناس فيها، فقال له عروة: خير الناس من
حلم عن الجهال وما أراه إلا قد حكم عنك، فقال الحزين حلم والله
عني شاء أو أبي برغمه وصغره.



من أقوال الخوارزمي نشرًا

والخوارزمي.. أصله كما جاء في بعض تراجمه من طبرستان، ومولده ومنشأه خوارزم، وقيل: إنه كان يتسم بالطبري، ويعرف بالخوارزمي، ويلقب بالطبرخي، ويعرف بالخوارزمي، أما اسمه فهو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ولد عام ٣٢٣هـ، وتوفي عام ٣٨٣هـ، من أقواله: «الشكر على قدر الإحسان والسُّلَع بإزاء الأثمان - النفس ماثلة إلى أشكالها، والطير واقعة على أمثالها - الأيام مرآة الرجال، والأطوار معيار النقص فيهم والكمال. العشرة مجاملة لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، ولا تحتمل الحساب والصرف. الاعتذار في موضعه ذنب. الكريم إذا أساء فعن خطيئة، وإذا أحسن فعن عمد ونية. الغيرة على الكتب من المكارم، بل هي أخت الغيرة على المحارم، والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه. المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق بكل حبل يعلّق. المصيبة في الولد العاق موهبة والتعزية عنه تهنة - إنما النساء لحم على وضم وصيد في غير حرم إلا أن يلاحظن بعين غيور ونفس يقظ حذور - أبى الله أن يقع في البئر إلا من حفر، وأن يحقق المكر السيء إلا بمن مكر - إن ولاية المرء ثوبه، فإن قُصِر عنه عَرِيَ منه وإن طال عليه عثر فيه - وما أكثر من يخطئ بالصنعة طريق المصنع، ويخالف بزرعه غير موضع المزدرع. في كتمان الداء عدم الدواء وفي عدم الدواء عدم الشفاء. حفظ الصحة أيسر من علاج العلة. هل يبرأ المريض بين طبيبين وهل يسع الغمد سيفين!!».

وللخوارزمي فضل في ذكر - إلا ولولا - ذكره الثعالبي في «يتيمة

الدهر» بهذا النص: الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقدح المَعْلَى ويسمو منها إلى الشرف الأعلى، ولم يجعل فيه موضعاً للولا، وما مجالاً لإلّا، فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنضب ماءه، وكدر صفاءه، وأنطق فيه حسّاده وأعداءه، وكذلك قالوا: ما أملح الطبي لولا خنس أنفه، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه، وما أطيّب الخمر لولا الخُمار، وما أشرف الجود لولا الإقتار، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر، وما أطيّب الدنيا لو دامت.

ومما قيل من شوارد الأبيات المشتملة على (إلّا) و(لولا) قول جرير في رثاء زوجته أم حرزة:

لولا الحياء لها جني استعبار
ولزرت قبرك والحبيب يزار

وقول أحد الشعراء:

لولا التغرب ما رقي
دُرر النحور إلى النحور

وقول أبي العلاء المعري:

جمال المجد أن يُثنى عليه
ولولا الشمس ما حسن النهار

وقول معروف الرصافي:

قوم هم الشمس كانوا والورى قمر
ولا كرامة لولا الشمس للقمر

وقول أبي نواس:

فإن تولني منك الجميل فأهله
وإلّا فإنني عاذر وشكور

وقول لبيد بن ربيعة العامري:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وقول المتنبي:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وقول الحاجري:

خطرت بقلبي منك كل عجيبة
إلا فراقك لم يكن في خاطري



آفات

لقد عقد أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩هـ وهو يترجم للخوارزمي واسمه أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المولود عام ٣٢٣هـ والمتوفى عام ٣٨٣هـ فصلاً نقل فيه ما قاله الخوارزمي في الآفات..

ولما لهذا الفصل من فائدة استحسنت نقله هنا. ونصه:

من آفات العلم خيانة الورّاقين وتخلف المتعلمين، كما أن من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدین.. وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع وأن البخل سبب للجمع. وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدى السمحاء، وكما أن من آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبّة، وأن السفیه منيع الحوزة، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنعته عَرَضَتْهُ للفساد، وإذا أبرزته عَرَضَتْهُ للنفاذ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت من اصطنعك، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أوهَمْتَ من سمعك، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك، وإذا أكثرته منه تعرّضت للإثم والعار، وأبرزت صفحتك للألم والنار، وكما أن من آفات الممالك أنك إذا بسطتهم أفسدت أدبهم وأذهانهم، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استقللت منهم لم تصب حاجتك فيهم، وإذا استكثر منهم لزمك حوائجهم وثقلت عليك نوائبهم، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من الغذاء،

وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميت الطرب، وأن الحاذق منهم يُنسي الأدب.

أما شعر الخوارزمي فهو من الجودة بمكان، كيف وهو يقول من قصيدة له ممتدحاً خسرو:

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبها
مخافة أن يقتص مني لها الدهر

سهاد ولكن دونه كل رقدة
وليل ولكن دون إشراقة الفجر

وسُكر الهوى لو كان يحكيه لذّة
من الخمر سُكر لم يكن حرّم السكر

ولما أدارت مقلّة جاهلية
هلاك امرئ في ضمن ثوبي لها نذر

ومالت كأن قد سُقِّيتْ خمر خدّها
وكيف يميل الخمر من ريقه الخمر

حسدتُ عليها ناظري إذ تحلّه
كما تحسد الأفلاك نعلَ فناخُشرو

ويقول فيما يدخل في دائرة الحكمة:

ولقد بلوت الأصدقاء فلم
أر فيهم أوفى من الوفر

وكذاك لم أر في العدا أحداً
أنكى لمن عادى من الفقر



انهيار البيوت!!

إن صيانة البيت وترميمه عمرانياً بالمعنى الملموس، يعني المحافظة على سلامته من التصدع والتضعع حتى يبقى دائماً في حالة جيدة تمكن أهله من الاستغلال به في راحة نفسية إذ لا تبدو عليه أي ظاهرة خراب تريب وتسبب الانزعاج والخوف من حالته.

أما صيانتة والمحافظة عليه بالمعنى المحسوس فإن ذلك يعني أمراً آخر يختلف تماماً عما يعنيه الترميم العمراني لبنائه.

ولعله قد وضع الأمر المعني بترميم البيت وصيانتة، من السياق المتقدم! لكنه إن لم يكن قد وضع بعد، فإن المقصود بذلك هو المحافظة على أسرة البيت وجميع أفرادها من سيء الأخلاق وقبيح الأداب، ومن الانحلال العقيدي الذي أخذ يدهم البيوتات من طرق عديدة ومتلونة، لعل أهمها وما هو محقق بها الآن، الخدم الذين أصبحوا يعايشون أهلها ويخالطونهم وهم على غير دينهم، وقديماً قالت العامة: «لا يعينك من ليس على دينك».

ولقد ظهرت بوادر هدم البيوت بتلك الصورة المحسوسة، وكثرت الحوادث المخلة بالدين والشرف، وحق لها أن تكثر وتزداد ما دامت ربة البيت وبناتها يخرجن مع السائق الأجنبي في حالة تشبه التبرج، ويتحدثن إليه بلا موارد وربما مازحته بالكلام وبادلنه الضحكات، ورب الأسرة لا يعتبر ذلك منكراً.

إنه والله معول صنعته عدم الأنفة، واستخدمته نوازع الشيمة، وإننا والله لن نتدارك انهيار بيوتنا إلا بتحطيم ذلك المعول والقذف به خارج

محيط بيوتنا وحياتنا الأسرية فهل نحن فاعلون، ولآثار أسلافنا مقتفون؟
يقول الشاعر يحيى بشير حاج يحيى فيما يقرب من هذا الموضوع
من قصيدة له:

يقوم اليوم بالإسلام بيت
على الإيمان والتقوى يُشيد
ليغدو في ظلال الدين صرحاً
منيعاً فيه راشدة وأرشد
فكم بيت تبعثره الخطايا
وكم بيت ينصر أو يهود
غزينا في البيت وما انتهينا
وداهمنا العدو بها وعربد
ولم يعد الزبير بها مثلاً
ولا عُمرُ المروءات المسدد
وصار لكل هابطة ونذل
مثال في خساسته يقلد
وتألق الحقائق وهي شمس
فينكرها ضعيف العين أرمد
ومن يطلب بغير الدين عزاً
وسعداً فهو محروم منكّد

والقصيدة أطول من ذلك وقد نشرتها مجلة «النور» في عددها ١٢٤
شوال عام ١٤١٥هـ.



كسر الدواة لا يقل في أهميته عن تحطيم القيثارة

والقوس وإلقاء عصا الترحال!!

وتحطيم القيثارة.. لغة شعرية تنم عن انفعالات الشاعر الذي يتخذ منها إعلاناً عن تكسر أحاسيسه تكسراً لم تعد تتجاوب معه أنغام شعره مع القيثارة - إن صح التعبير -.

ومثل ما أن تكسير القوس يترجم السخط الذي ينم عن عدم الاستطاعة على تسديد السهم فيقع الاتهام على إساءة صنع القوس. فإن هناك تعبيراً يترجم العدول عن الأسفار والخلود إلى الراحة وهو قولهم: «ألقي عصا الترحال».

أما صاحب القلم إذا ما أراد أن يعبر عن عزوفه عن الكتابة فإنه يحطم إما قلمه أو دواته.

وجميع هؤلاء يأسفون لذلك الصنيع ويعودون لما أعلنوا الإقلاع عنه ملتجئين أدوات تكون عوضاً عما أتلّفوه. بل خربوه. لكن بعضهم يبحث عن وسائل جديدة يتخذها لاستئناف رحلته. وممارسة مهنته.

والشاعر حسن محمد الزهراني واحد من الذين استبدلوا ما حطموا من أدواتهم. فهو حينما كسر دواة طويلة قوامها ثلاثين بيتاً وجعل عنوانها «بشراك يا قلمي» وفي مقدمتها ركز على الحديث عن قلمه وعلاقته بمعاناته.

وبشراه لقلمه تتمثل في أنه جعل مداده من دمه بدلاً من الحبر الذي أضاعه حينما حطم دواته.

من هذه القصيدة التي تجلى فيها الإبداع الشعري . قوله :
كسرت على صخر الهموم دواتي
وتناثرت في قفرها كلماتي
شربت مداد الحزن واغتسلت به
واستللت الأكفان من زفراتي
فحملته ومضيت في درب الأسى
ورأيت في قسماته قسماتي
وكانما قلمي أحس بلوعتي
وتغلغل في روحه مأساتي
ففرزت في وسط الوريد لسانه
وسقيته بدمي ونبض حياتي
لأرد بعض جميله ولعله
يتلو على سمع الهوى آهاتي
قل أيها القلم الوفي لسائلي
عن سر هذا الحزن في أبياتي
قل إن شعري نرف قلب موجه
رقصت على أنغامه أناتي



تقاوُل وهمي مشحون بإغراءات الشيطان وتوهمه!!

لقد نقل الشاعر ابن الهائم واسمه.. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن الهائم السُّلَمي المنصوري. يرجع نسبه إلى العباس بن مرداس السُّلَمي ابن الخنساء الشاعرة المشهورة ولد سنة ٧٩٩هـ. وكانت وفاته في جمادى الثانية من سنة ٨٨٧هـ، قلت: لقد نقل محادثة صورية جرت بينه وبين إبليس في صورة تقاولية بأسلوب شعري فيه بعض الدعابة ذات الخيال المجوني الذي من عادة إبليس اللعين نصبه كشارك يصطاد به بني الإنسان.

ويبدو لي أن الشاعر ابن الهائم قد أراد بصناعة ذلك التقاؤل الوهمي أن يلفت نظر القارئ بأن إبليس حريص كل الحرص. وبكل الوسائل المغرية لأغواء الإنسان. وجره إلى ارتكاب المعاصي بجميع أنواعها فكأنما هو عارض سلع تستهوي النظر. وتثير الرغبة في النفس فيحصل الطمع فيها. فيقترب هوى النفس بتوفر المادة فتتم الصفة. ويربح إبليس اللعين وَيَخْسِرُ الإنسان المسكين.. وصدق الله العظيم في قوله على لسان إبليس في سورة الأعراف آية ١٦، ١٧ ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

لقد قطع إبليس اللعين عهداً على نفسه بأن لا يألو جهداً في إضلال الإنسان. وحمله على المعاصي وجره إلى الفتن التي نهى الله عنها. أو صرفه عن كل ما يتصل بالإيمان بالله.

والتقاؤل الوهمي الذي أجراه إبليس مع الشاعر ابن الهائم. والذي فيه عروض وإغراءات جاء على هذا النحو:

وليلة بتُّ بها والكرى
في مقلتي أذياله تُسحبُ
إذ جاءني إبليسها عارضاً
علي أنوعاً بها يَخلب
فقال لي: هل لك في غادةٍ
في وجنتيها الصبح والكوكب؟
فقلتُ: لا. قال: ولا شادين
يرنو بطرف بالثَّهى يلعب؟
فقلتُ: لا. قال: ولا قهوةٍ
تكسوك كأس الملك إذ تُشرب؟
فقلت: لا. قال: ولا كبشةٍ
خضراء فالعيش بها طيب^(١)
فقلت: لا. قال: ولا مطربٍ
إذا شدا عند الصفا يُطرب
فقلت: لا. قال: فثم معرضاً
عني فأنت الحجر المُتعب

○ ○ ○ ○ ○

(١) الكبشة الخضراء: حشيشة الكيف.

في بعض المواقف تفتقد القريحة الشعرية!!

وإذا عجز الشاعر عن قول الشعر في بعض المناسبات الخاصة. وأخذ يستشهد بشعر غيره من الشعراء فهو في أحد أمرين. إما أنه قد ألجمه هول الموقف وصدمة المفاجأة فلم يملك من التعبير عنها سوى ما كان قد أطربه من شعر غيره فيأخذ في ترديد الاستشهاد به. أو أنه تصاغر أمام الحدث ووجد نفسه لا يستطيع الإتيان بالتعبير المناسب الذي يترجم الحدث ويرسم صورته التي انطبعت في أقصى عمق في نفسه.

ومثل هذه الصورة نجدها تبرز في حياة كثير من الشعراء. وأوضحها تعبيراً. وأدناها إليّ الآن ما رواه الأصبهاني في كتابه «الأغاني» من أن الشاعر الحزين واسمه: عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك بن حريث بن جابر بن بكر بن يعمر بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقيل بل هو مولى وأن اسمه الحزين بن سليمان ويكنى أبا الحكم وهو من شعراء الدولة الأموية ومن معاصري الشاعر المشهور، كثير عزة.. أما ما رواه الأصبهاني عنه كما أشرت فهو أن الضحاك بن عثمان قال: قال عروة بن أبي أذينة كان الحزين الكناني الشاعر صديقاً لأبيّ وكان عشيراً له على النسب فكان كثيراً ما يأتيه. وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها فبيعت وأخرجت عن المدينة. فأتى الحزين أبيّ. وهو كئيب حزين كاسمه فقال له أبيّ: يا أبا حكيم: مالك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير:

لعمري لأن كان الفؤاد من الهوى
بغى سقماً إنني إذا لسقيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى
فخبرني ما لا أحب حكيم
فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.
أما البيتان فهما من قصيدة طويلة قالها كثير عزة في عزة لما
خرجت إلى مصر منها قوله:
ولست براء نحو مصر سحابة
وإن بعدت إلا قعدت أشيم
ومنها قوله:
وإني وإن أعرضتُ عنها تجلداً
على العهد فيما بيننا لمقيم
وإن زماناً فرّق الدهر بيننا
وبينكم في صرفه لمشوم
أفي الحق هذا أن قلبك سالم
صحيح وقلبي في هواك سقيم
وإن بجسمي منك داء مخامراً
وجسمك موفور عليك سليم
لعمرك ما أنصفتني في مودتي
ولكنني يا عزّ عنك حلیم



كثير عزة يروي وفادته على عمر بن عبد العزيز

في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير أن حماد الراوية قال: قال كثير عزة: وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة، ونحن نمّت بصحبتنا إياه، ومعاشرتنا له، لما كان بالمدينة، وكل منا يظن أنه يشركه في الخلافة فنحن نسير ونختال في رحالنا. فلما انتهينا إلى حُناصرة ولاحت لنا أعلامها، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال: ما أقدمكم؟، أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء؟ قال: فوجمنا لذلك. فأنزلنا مسلمة عنده، وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا، وأقمنا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر. فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة. فسمعتة يقول في خطبته: لكل سفر زاد فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من عذابه وثوابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم. فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد صباحه ولا يصبح بعد إمسائه. وربما كانت له كامنة بين ذلك خطرات الموت والمنايا. إنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة. فأما من لا يداوي من الدنيا كلفاً إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطمئن. أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينتفع فيه إلا الحق والصدق. ثم بكى حتى ظنناه قاض نجه. وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل قال: فانصرفت إلى صاحبي فقلت: خذ سرحاً من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فإنه رجل أخرى ليس برجل

دنيا. قال: ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت: يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحديث بجفائك إيانا وفود العرب فقال: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ وقرأ الآية. فإن كنتم من هؤلاء أعطيتهم وإلا فلا حق لكم فيها. فقلت: يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع.. فقال: أستم عند أبي سعيد؟ يعني مسلمة بن عبد الملك؟ فقلنا: بلى. فقال: إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد. فقلت: ائذن لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد. قال: نعم ولا تقل إلا الحق فأنشدته قصيدة فيه.

وقد أوردها ابن كثير في نهاية تلك وعدد أبياتها ١٩ بيتاً. منها قوله:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتَمَ عَلَيَّ وَلَمْ تَخَفْ
 بريئاً ولم تقبل إشارة مجرم^(١)
 وصدقت بالفعل المقال مع الذي
 أتيت فأمسى راضياً كل مسلم
 تركت الذي يفنى وإن كان مونقاً
 وآثرت ما يبقى برأي مصمم
 وأضررت بالفاني وشمرت للذي
 أمامك في يوم من الشر مظلم
 ومالك إذ كنت الخليفة مانع
 سوى الله من مال وعيت ولا دم

(١) يشير بذلك إلى نهيه الأئمة عن سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر يوم الجمعة.

سما لك هم في الفؤاد مؤرق
بلغت به أعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها
مناد ينادي من فصيح وأعجم
يقول: أمير المؤمنين ظلمتني
بأخذك ديناري وأخذك درهمي

قال: فأقبل عليّ عمر بن عبد العزيز وقال: إنك تسأل عن هذا
يوم القيامة. ثم استأذنه الأحوص فأنشده قصيدة أخرى فقال: إنك تسأل
عن هذا يوم القيامة. ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له. وأمر لكل واحد
منهم بمائة وخمسين درهماً. وأغزى نصيباً إلى مرج دابق.. رحمك الله
يا عمر وأسكنك فسيح جناته.



عنديات الخوارزمي

والخوارزمي هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ولد عام ٣٢٣هـ وتوفي سنة ٣٨٣هـ هو شاعر بويهّي. وصفه الثعالبي في كتابه الشهير «يتيمة الدهر» بقوله: أبو بكر الخوارزمي. يافعة الدهر. وبحر الأدب. وعَلَم النثر والنظم. وعَالَم الفضل والظرف. وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة. ويُحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها. وَيُدْرُس كتب اللغة والنحو والشعر. ويتكلم بكل نادرة. ويأتي بكل فُقْرَة ودُرّة. ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ. ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته. وملاحاة عبارته. ونعمة نعمته. وبراعة جده. وحلاوة هزله. وديوان رسائله مخلد سائر. وكذلك ديوان شعره.

ومما أورد له من نواذر الأبيات والقصائد. قصيدة رجزية أستطيع أن أصفها بأنها عجيبة التركيب. ومع أنها ظاهرة عليها مسحة الصناعة إلا أنها قد أدت غرضاً ببساطة تعبير وبسهولة لفظ ومعنى. حيث أخذ يسوق فيها كل ما هو مستكره ومستقبح عنده ويقابله بكل ما هو مستحسن ومستحب عنده. فجاءت متضمنة مجموعة من الأضداد. إذ جعل كل بيت فيها يشتمل على ضدين عنده.

ومن تلك القصيدة المملوءة بالعنديات قوله:

المُلْك عندي متعة الشباب

والعَزْلُ عندي فرقة الأشباب

ومنها قوله:

والقبح عندي عدم الآداب

والعرس عندي ليلة الكتاب

ومنها قوله:

والسيف عندي قلمُ الكُتَّاب
والنَّجَح عندي سرعة الإياب
والطرْد عندي كلمة البواب
والذل عندي وقفة الحجاب
والقحط عندي قلة الأصحاب
والشُّؤم عندي كثرة العتاب
والعمي عندي هَذَرُ الخطاب
والعز عندي طاعة الصواب

ومنها قوله:

والصفح عندي أبلغ العقاب
واللؤم عندي سفه الشراب

ومنها قوله:

والسجن عندي منزل التراب
والهول عندي موقف الحساب



كُثِرَ بين عزة وأم الحويرث وبثينة!!!

ومما يدل على أن كثير كان يكذب في عشقه لعزة أو أنه يخلط، ولا يخلص حبه لها، ما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، من أن إبراهيم بن المهدي قال: قدمت على هشام بن محمد الكلبي فسأله عن العشاق يوماً فحدثني قال: تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها وكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة. فقالت له: إنك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالا يعفى عليك ثم تعالى فاخطبني كما يخطب الكرام. قال: فاحلفي لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك. فحلفت ووثقت له. فمدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي. فخرج إليه فلقيته ظباء سواغ، ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لهب. فقال: أيكم يزجر؟ فقالوا: كلنا. فمن تريد؟ قال: أعلمكم بذاك. قالوا: ذلك الشيخ المنحني الصلب. فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له. وقال له: قد توفيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها. فأنشأ يقول:

تيممتُ لهباً أبتغي العلم عندهم

وقد رد علم العائفين إلى لهب

تيممتُ شيخاً منهم ذا بجمالة

بصيراً يزجر الطير منحني الصلب

فقلتُ له ماذا ترى في سواغ

وصوت غراب يفحص الوجه بالترب

فقال جرى الطير السنيح بينها
وقال غراب جد منهمر السكب
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها
سواك خليل باطن من بني كعب

أما حكايته مع بثينة فقد كان لعزة نصيب في التخطيط لها. بل هي الرأس المدبر لها بالأصح. وقد كان قصدها من ذلك معرفة أكثر صادق: أم كاذب في عشقه لها.. فعن الخزاعي قال عمن حدثه من أهل قديدان: أن عزة قالت لبثينة: تصدي لكثير وأطمعني في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مخفية. فعرضت عليه الوصل فقاربها ثم قال:

رمتني على عند بثينة بعدما
تولى شبابي وارجحن شبابها
قال الأصبهاني: وذكر أبياتاً أخرى سقط من الكتاب ذكرها، فكشفت عزة عن وجهها فبادرها بالكلام ثم قال:

ولكنما ترمين نفساً مريضة
لعزة منها صفوها ولبابها
قلت: وهذا يعد من سرعة البديهة عند كثير ومعرفة طرق التخلص من المآزق، قال الراوي: فضحكت - والمعنى بالطبع بثينة - ثم قالت أولى لك، قد نجوت. وانصرفتا تتضحكان.

قلت: وكأني بكثير يشر إلى هذه الواقعة وما شاكلها من المواقف التي مر بها في قوله في هذا البيت الزاخر بالحكمة والموعظة:

ومن يتنبع جاهداً كل عشرة
يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

باللسان والجنان يقاس مستوى الإنسان!!

إن نظرة الاحتقار تقع دائماً على كل ذي طمر خلق، أو ذي دمامة، أو ذي عاهة، أو ما إلى ذلك مما تقع عليه عين المقابل: كالنحافة المفرطة، أو القصر الفاحش، أو العرج، أو الكوخ، أو الجحوظ الفاحش في العينين.. كل ذلك وغيره ربما قلل من شأن صاحبه لدى من لا يعرف مخبره المخالف لمظهره، الظاهر عليه بعض تلك الصفات.

لكن ذلك يذوب إذا كان صاحب هذه العاهات الخلقية - بفتح الخاء - له لسان ناطق وجنان ثابت.

فحسن المنطق رداء جميل وستر يغطي تلك الأشياء التي ربما استقبحها بعضهم.

وصدق الجنان والثبات في المواقف التي تروغ فيها الأذهان من شدة وقع مفاجأتها يرفع من مستوى قيمة الإنسان الذي كان محتقراً بأية صفة من تلك الصفات التي تقدم ذكرها.. ولناخذ الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ضرب به المثل في الصرامة ورباطة الجأش والجرأة في الرأي رغم ما يوصف به من صفات دميمة.

ومما يروى في كتب التراث. ويستدل به على أن اللسان والجنان هما مقياساً مستوى الإنسان لا بجمال هيئته وشكله. ولا بحسن تركيب جسمه ومنظره. أن كُثير عزة واسمه: أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارق بن سعيد أنهى الأصبهاني نسبه إلى قحطان. قد قيل أن طوله لا يزيد على ثلاثة أشبار. وكان إذا دخل

على عبد الملك بن مروان يقول له: طأطئ رأسك لا يؤذيك السقف..
يضحك إليه من قصره. لكنه استأذن يوماً فلما دخل عليه قال
عبد الملك: لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: حيَّهلا يا
أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه؛ إن نطق نطق ببيان، وإن
قاتل قاتل بجنان. وأنا الذي أقول:

وجربت الأمور وجربتني
وقد أبدت عريكتي الأمور
وما تخفى الرجال على أنى
بهم لأخو مثاقفةٍ خبير
ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد زئير
ويعجبك الطير فتختبره
فيخلف ظنك الرجل الطير
وما عظم الرجال لها بزين
ولكن زينها دينٌ وخير
بغات الطير أطولها جسوماً
ولم تطل البزاة ولا الصقور
وقد عظم البعير بغير لبٍ
فلم يستغن بالعظم البعير
فيركب ثم يضرب بالهراوي
ولا عرفٌ لديه ولا نكير



من مكاسب الأسفار.. الأصدقاء الأخيار!!

والإنسان الذي ينتقل من بلد إلى آخر سواء كان ذلك مما تفرضه عوامل الحياة وظروف المعيشة المرتبطة بطلب الرزق.. أو بقصد استطلاع ودراسة المعالم لتوسيع أفق المعرفة والثقافة الجغرافية لديه.. أو من أجل تكوين صداقات مختلفة، وعلاقات متنوعة مع من يشاكله في الطبع والخلق فينبى بذلك كما يقولون في صور التشبيه المجازي؛ بيتاً في كل بلد.

والحقيقة أن هذه الأمور الثلاثة لا ينفصل بعضها عن بعض حيث تجمعها رابطة الأسفار التي لا تخلو بأي حال من الأحوال من كسب عيش أو استطلاع معلم أو بناء صداقه وضمان أصدقاء.

ومن الناس من تستطيع البقاء فترة طويلة في البلد الذي كان قد سافر إليه فتكسبه تلك الفترة صداقات وأصدقاء يجد نفسه في يوم من الأيام غير قادر على فراقهم حيث اتحد معهم بجميع أحاسيسه الفكرية، والخلقية، والأدبية، وجانست جميع خصاله، خصالهم.

ومثل هذه الصورة تحدث لكثير ممن تفرض عليهم ظروف الحياة مغادرة بلادهم وترك أهليهم. وذلك مثل ما اتفق للشاعر عبد الرحمن على الصوفي الذي سافر من بلاده سورية إلى الأحساء ومكث عقد ونصف من الزمن أقام خلاله صداقات متينة مع بعض أهالي الأحساء.. ولما فرضت عليه ظروف الحياة العودة إلى بلاده سوريا ترجم لأصدقائه الأحسائيين حزنه على فراقهم في قصيدة منها قوله:

إنني أراني للفراق أساق
لِيَشُطَّ عني إخوة ورفاق

عقد ونصف قد حباني حُبهم
ونما جناس بيننا وطباق
إن كان في عمل وروضة مسجد
أو ندوة تزهو بها الأعباق
ووجدتُ فيهم إلفة ومودة
ينبوع حب ماؤه رقراق
ليس الشقيق بنابت الأرحام إن
شاب الأواصرَ فرقة وشقاق
لكنه صلةٌ وروحٌ تحائب
في الله يُعَقَّد ما اعتراه نفاق
ومنها قوله :

اسم «الهفوف» يزين جُلَّ قصائدي
وله أجَلٌ وتدمع الآماق
ويختتمها بقوله :

ستظل ذكراكم تعطر خاطري
يهفو إليها قلبي الخفاق
والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٢ بيتاً نشرتها جريدة الندوة
في عددها ١١٠١٨ يوم الأحد ٢٠ رمضان عام ١٤١٥هـ، قلت: وما
بالغ الشاعر عبد الرحمن فيما قال. فأهل الأحساء عموماً لا يضاھون
في دماثة الأخلاق، وطيب النفس. فهم بحق أوفياء أسخياء. لا تمل
ضياقتهم، ويحزن على فراقهم.



نقد الشعر.. والشعر الناقد

لو أردنا أن نستقصي وصف النقد وفعاليته. وأن نشبهه من حيث أهميته خاصة ما يرتبط منه بالشعر فإنه لا بد أن يتكون حصيلة لا بأس بها من التعبيرات التي ربما اتصفت بالحكمة.. فمن ذلك مثلاً قولنا في الشعر الذي لا تمسه ملاحظة الناقد: شعر بلا نقد كعجينة بلا تنور، وعليك أن تتصور شهيتك لعجينة لم تمسها النار.

ومن ذلك أيضاً قولنا: الشعر بلا نقد كالزيت الخام بلا مصفاة. وقولنا أيضاً: شعر بلا نقد كطريق طويل بلا لوحات إرشادية. والتشبيهات لذلك كثيرة.

ومن هنا ندرك أن النقد للشعر كالنار للمعدن تميز ثمينه من رديئه. أو قل طيبه من خبيثه.. وغياب النقد عن ساحة الشعر ما هو إلا كغياب المعلم عن التلاميذ. وهذه الحالة التشبيهية يعيشها الكثير من شعرنا المعاصر الذي يفتقر إلى مجهر الناقد الحقيقي.

ونحن لا نقول إن الساحة الأدبية خالية من الناقد. لكن الخوف من أن يكون النقد شرارة تحدث حريقاً يفسد ما حوله جعل الناقد يغمد قلمه حتى لا يدخل بنقده وصراحة قوله في مشكلات شخصية توجد عداً ينأى به عما يهدف إليه النقد من غرض أدبي.

هذا من ناحية فقد الشعر في عصرنا. أما إذا ابتعدنا عن المطالبة بنقد الشعر بصورة عامة واتجهنا إلى الشعراء المعاصرين وجدنا من بينهم الناقد والمنتقد لبعض الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك مما له علاقة بحياة معاصريه.

ويعطينا الشاعر السعودي المعاصر محمد بن سعد المشعان الدليل
الواضح المحسوس في صورة شعرية قد دمج فيها النقد والانتقاد معاً
لما هم عليه العرب المعاصرون من حالة يرثى لها من حيث التفكك
وعدم الائتلاف. وذلك مثل قوله من قصيدة له عنوانها «الأحقاد».

ما للأعاريب لا تنفك تقتتلُ
وحول وحدتهم لا يفتر الغزل
حمر وقائعهم حتى إذا فرجت
حنّوا إلى لغة الأحقاد وانهبلوا
ما زال «داحس والغبراء» بينهمو
رمزاً كما للجاهلي «هبل»
ومنها قوله:

سحقاً لقد هرم التاريخ واندثرت
صحائف الحقد والأجداد قد رحلوا
«بنو أمية» قد عابت شموهمو
كذاك كل «بني العباس» قد أفلو
والعلم أدنى من الأقطار قاصيها
والناس عن دنس الثارات قد شغلوا
إلا بنو يعرب ما زال بينهمو
من «عطر منشم» ما «طالت به الطيل»
والقوم من عاشقي العارات ما برحت
فيهم خلائق ماض جُلّه علل

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ سبعة عشر بيتاً وقد نشرتها مجلة
اليمامة في عددها ١٣١٢ الصادر يوم الأربعاء ٢٧ محرم ١٤١٥ هجرية.

وما من شعر هجائي إلا وله أسباب

وتختلف الأسباب والدواعي التي تدفع بالشاعر الهجاء إلى قول الهجاء. فالأشياء التي تثير الحفيظة ويوجب المجازاة بالشعر ربما يعذر الشاعر فيها.. لكنه يلام على الهجاء عند توافه الأمور وأبسط الأشياء. والذي يبحث فيما كتب من توطئات لقصائد الهجاء ضمنت كتب التراث ودواوين الشعر يدرك صحة ذلك.

أما الذي سأعرضه كنموذج لذلك فهو موقف حصل للشاعر الحزين مع عمرو بن عمرو حيث روى الأصبهاني عن عاصم بن الحذثان أن الشاعر الحزين دخل على عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام منزله فامتدحه. وسأله حاجة. فقال له: ليس إلى ما تطلب سبيل. ولا نقدر على أن نملأ الناس معاذير. وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولربما مستحق لها قد منعناه حاجته. فقال الحزين: أفمن المستحقين أنا؟ قال: لا والله. وكيف تكون مستحقاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس. وتهتك حريمهم. وترميهم بالمعضلات إنما المستحق من كف أذاه. وبذل نداءه. وأرغم أعداه. قال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تبعدني لا أم لك من هذه المنزلة، وأفضل منها. فوثب الحزين من عنده وأنشأ يهجو، ويمدح محمد بن مروان بن الحكم بقوله:

إذا لم يكن للمرء فضل يزينه

سوى ما ادعى يوماً فليس له فضل

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤه

يروعك في النادي وليس له عقل

وآخر تنبو العين عنه مهذب
 يجود إذا ما الضخم نههه البخل
 فيا راجياً عمرو بن عمرو وسيبه
 أتعرف عمراً أم أتاه بك الجهل
 فإن كنت ذا جهل فقد يخطى الفتى
 وإن كنت ذا حزم إذا جازت النبل
 جهلت ابن عمرو فالتمس سيب غيره
 ودونك مرمى ليس في جده هزل
 عليك ابن مروان الأعز محمداً
 تجده كريماً لا يطيش له نبل
 والحقيقة أن هذه الصورة الهجائية التي أبرز فيها عمرو بن عمرو
 دونما إقذاع أو تحریم مؤلم إلى حدٍ ما.. قد شابها شيء من الحكمة
 المتمثلة في المقارنة بين المظهر والمخبر.
 وللحزين أيضاً في عمرو بن عمرو قول من قصيدة أخرى هو:
 كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع
 وكف بن عمرو في الرخال تطول



شعر في طريقة عمل «كبسة» الأرز!!

يتدخل الشعر الضاحك أحياناً في تشويق بعض أنواع الوجبات المطهية فيرسم خطوطاً عريضة تبين كيفية عمل أكلة معينة من بعض الأكلات الشعبية. وتصفها وصفاً يسيل معه لعاب القارئ والسامع معاً.

ومن الشعر الضاحك الذي رسم الخطوات التي يجب اتباعها عند عمل «كبسة» الرز. ما صنعه الشاعر السعودي محمد بن سعد المشعان. حيث قال من قصيدة له: خاطب بها صاحبة المطبخ:

ضعي في القدر ماءً وارفعيه
على «الدافور» كي يُضليه نارا
وحُطي في سخين الماء لحماً
إذا قطعته قطعاً صغارا
أضيفي الملح والأبصال حتى
ترئي في القدر للغلي اغتكارا
ونقي «الرز» والتنقطي حصاه
ولا تبقي صغاراً أو كبارا
وهاتي الماء عذباً واغسله
لكي تنقي عن «الرز» الغبارا
أضيفي «الرز» مغسولاً إلى الما
وابقي القدر كي يغلي مرارا

ولا تنسي بأن تضعي بُهاراً
وحاشا «الست» أن تنسى البهارا
وأوهى شعلة «الدافور» خفصاً
لأن القدر يختزن البخارا

إنها صورة إرشادية في أسلوب شعري ضاحك يتمرجح بين الجد والهزل في تصوير حالة طهي قديمة نوعاً ما. حيث جعل الموقد «دافوراً»، والدافور هو ذلك الموقد الذي كان يشعل بـ«الجاز» أحد مشتقات البترول. وهو أثقل من «البنزين» الذي يستخدم لمحركات الطائرات والعربات وبعض وسائل النقل الأخرى كالدراجات النارية وغيرها.

وقد كان الدافور يستعمل قبل توفر مواقد - الغاز - والكهرباء، فقلّ استعماله بل لا يكاد يكون له وجود في المطبخ السعودي العصري بصفة عامة.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن قصيدة الشاعر المشعان أطول مما ذكرت فهي تبلغ نحواً من أربعة عشر بيتاً. وقد قرأتها منشورة في جريدة الرياض، العدد ٩٧٠٩١١، الصادر يوم الإثنين ٢٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ.



نريد مثل هذا الشعر من الشواعر

ونحن حينما نتطلع إلى ثقافة المرأة العربية ومساهمة قلمها في ميدان الثقافة والتأليف والكتابة النثرية والشعرية؛ فإن هذا التطلع يجعلنا نرصد بكل اهتمام ما يبرز من أقلام نسائية عربية تثبت بنضوج حرفها وكلمتها مشاركتها في النهضة الأدبية، وتأخذ نصيبها بجدارة في مجال الثقافة المعاصرة، وحصتها في عالم الكتابة والتأليف.

ولا أريد هنا أن أتوسع في ذكر ما تعلم المرأة العربية من أهمية بالنسبة إلى بعض الأمور التي هي أدري بترجمتها والكتابة عنها من الرجل. وذلك فضلاً عما يجب أن تدخل في المنافسة فيه مع الرجل من نافذة العلم والمعرفة والثقافة المشاعة والتي لا تقف محدوديتها بصفة عامة على عقل وفهم وإدراك الرجل فقط.

وكم تكون فرحتنا عارمة عندما نقرأ مؤلفاً لامرأة عربية أو بحثاً علمياً أو مقالاً أدبياً أو قصيدة شعر في كتاب أو مجلة أو جريدة سيارة.

ومن بعض ما كنت أرصده من متابعة لما ينشر من شعر نسائي يستحق الإشارة بل الدراسة.. قصيدة للشاعرة الدكتورة شريفة سلامة أبو مريع، التي تلقب نفسها بـ«شمس الأصيل» وقد جعلت عنوان قصيدتها «هو الليل» وقد قرأت تلك القصيدة في العدد «٨١٦٥» من جريدة الجزيرة الصادر يوم الأحد ٦ رمضان المبارك عام ١٤١٥هـ.. منها قولها:

هو الليل يهزأ بالأمنيات

ويرمي بها في مهاوي العدم

وينهش فينا عجاف السنين
ويشعل فينا شقي النغم
فتغفو العيون على الذكريات
لعل الصباح يجئ.. ولم^(١)
ويرتشف القلب خمر الورى
تدور بها كف طيف ألم
يطل الأسى ملء تلك العيون
ويصرخ في الروح كبر اسم
لماذا الحياة بها المتعبون
تساق خطاهم لدرب العدم
حياة اكتئاب وليل طويل
وعمر سقته كؤوس السقم
والقصيدة طويلة نوعاً ما فهي تبلغ نحواً من عشرين بيتاً. وقد
ختمتها بقولها:
بقاء القلوب وصدق الهوى
بضحكة طفل وقبله أم



(١) قولها: ولم: يعني ولم يأت الصباح.. وهذا نوع من أنواع البديع يعرف
بـ«الاكتفاء».

كيف. ومتى عشق كثير.. عزة بنت جميل؟!!

والإجابة على - كيف ومتى عشق كثيرة عزة - عزة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار، وقيل: بل هي عزة بنت حميد بن وقاص، نجدها مودعة في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني «حيث روي عن إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعي قوله: كان أول عشق كثير عزة، أن كثيراً مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم فأرسله إليه عزة وهي صغيرة فقالت: يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسنا بثمنه إلى أن نرجع. فأعطاها كبشاً وأعجبه فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه. فقال: وأين الصبية التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش إليها. وخرج وهو يقول:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه

وعزة ممطول معنى غريمها

قال: فكان أول لقائه إياها.

وفي رواية أخرى أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوق خلف غنمه إلى الجار. فلما كان بالخبت وقف على نسوة من بني ضمرة. فسألهن عن الماء. فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثديها أرشديه إلى الماء. فأرشدته وأعجبه. فبينما هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدراهم فقالت: يقلن لك النسوة بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك. فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً وقال: ردي الدراهم وقولي لهن: إذا رحت بكن اقتضيت حقي فلما راح مر بهن فقلن له هذا حقك فخذ. فقال:

عزة غريمتي ولست أقتضي حقي إلا منها فمزحن معه وقلن ويحك. عزة
جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله على إحدانا فإنها أملى به
منها، وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيل حقي عنها ومضى لوجهه ثم
رجع إليهن حين فرغ من بيع جله فأنشدن فيها:

نظرتُ إليها نظرة وهي عاتق
على حين أن شبت وبان نهودها
وقد درعوها وهي ذات مؤصد
محبوب ولما يلبس الدرع ريدها
من الخفرات البيض ود جليسه
إذا ما انقضت أحدى لو تعيدها

وقال الحافظ ابن كثير في كتابه الشهير «البداية والنهاية»: ومما
أنشده ابن الأنباري لكثير عزة قوله:

بأبي وأمي أنت من معشوقة
طبُن العدو لها فغير حالها
ومشى إليّ بعيب عزة نسوة
جعل الإله خدودهن نعالها
اللّه يعلم لو جمعن ومثلت
لأخذ قبل تأمل تمثالها
ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى
في الحسن عند موفق لقضى لها



صورة من دور الشعر

في المطالبة بتحقيق الخدمة العامة!!

من عادة وزراء حكومتنا الرشيدة القيام بجولات في مختلف مناطق ومحافظات المملكة العربية السعودية للتعرف عن كُتب على احتياجات سكانها. فيقام لهم حفلات تكريم يتخللها خطب ثرية وقصائد من الشعر تتضمن جميعها الترحيب بالزائر وبعض المطالب التي هي من اختصاص الوزير المحتفى به. فيحصلون منه على وعود بتحقيق مطالبهم. وتحقق تلك الوعود في فترة وجيزة.

ومن تلك الصور ما حدث لمعالي وزير البرق والبريد والهاتف الدكتور علوي درويش كيال حينما قام بزيارة لمنطقة جازان. حيث عرض فضيلة الشاعر علي بن مديش بجوي مشكلة نقص خطوط الهاتف في منطقة جازان في قصيدة ألقاها أمام الوزير كيال في الحفل الذي أقيم تكريماً له بمناسبة زيارته لجازان منها قوله:

يا أخي الكيال جازان رأَت

في لقي الأخيار أفعالاً سمت

قالت الكيال بالكيل أتى

ليُوفي أهلها ما نقصت

فاتصالات بها قاصرة

رغم تخطيط مواعيد مضت

وفي أثناء الحفل صرح الوزير كيال بأنه قد خصص لمنطقة جازان

عشرة آلاف هاتف نقال مساوياً بها ما كان خصصه لمنطقة أبها.
قال الشيخ بجوي: وما أن انتهى الحفل حتى أخذت القلم
وسجلت أبياتاً شكرت فيها الكيال على حسن وسرعة تجاوبه.
من تلك الأبيات قوله:

يا أخي الكيال وفيتم بما
قد طلبنا فابتسامات بدت
في وجوه القوم ممن حضروا
وكذا الألسن بالذكر غدت
تمدح الكيال فيما قد أتى
من جميل الصنع فيما سمعت
عشرة آلاف نقال لكم
يا بني جازان مهما بلغت
مثل أبها في التساوي إنها
لغة المسؤول لا تبقي عنت

والأبيات أطول من ذلك فهي تبلغ ستة عشر بيتاً. وكذلك القصيدة
التي تضمنت الطلب فهي تبلغ ثلاثة عشر بيتاً. وكلتا القصيدتين قد نشرت
في جريدة الندوة العدد ١٠٩٧٦ الصادر يوم الأحد ٣٠ رجب ١٤١٥هـ.



ابتهالات معاق!!

وحينما يكون المعاق أو المقعد شاعراً؛ فإنه يكون أدق وصفاً لحالته من غيره من الشعراء الأصحاء الذين يقولون على ألسنة المقعدين.. بل هو أصدق تعبيراً حينما يصف حالة إعاقته، وتصوير واقع أمره.

وهذا أمر طبيعي جداً؛ لأنه أدرى بما تسببه الإعاقة من بؤس نفسي يولده التخلف الحركي عن مواكبة ركب الأصحاء.

والإعاقة كما نعرفها ونشاهد أصحابها إن لم تكن خلقية فهي من جراء إصابات بليغة قد تعرض لها جسم الإنسان فتحدث فيه خللاً يعوقه عن مسيرة العاديين من الناس.

ومن الإعاقة ما يكون في القدم أو الرجل فيحدث عرجاً. ومنها ما يصيب القدمين معاً فيسبب إقعاداً. وكذلك الشأن بسائر الجسد مما يتسبب في الإعاقة.

وتختلف درجات التحمل النفسي لدى ذوي العاهات والعوائق والمقعدين.. فمنهم من تراه دائم التضجر مما هو فيه ويلهج لسانه بصفة دائمة بالتأوه والتوجع، والبوح ببؤسه.

وهذا النوع ربما وصف بضعف الإيمان بحقيقة قضاء الله وقدره.

ومنهم من يفرض أمره في ذلك إلى الله، ويستيقن في قرارة نفسه أنه ما أصابه إلا ما كان قد كتبه الله عليه. ويجعل من هذا التصديق الإيماني بما كتبه الله له مسلاة وعزاء لنفسه. بل ويرجو به مثوبة من الله،

فيأخذ في الابتهاال إلى الله بأن يحتسب إعاقة له، ويأجره عليها.
ولقد صور الشاعر الدكتور عبد الرزاق العصماني ابتهاال معاق في
قصيدة طويلة منها قوله:

بك يا ربُّ أنت أقوى وأكبرُ
ابتغي في الحياة درباً مُيسَّرُ
إن تكن قد سلبت رجلي خطاها
ذاك خير فالعبد بالضر مؤجرُ
كلنا في الحياة جسم قوي
راعه الدهر فانشنى وتكسرُ
غير أني ونورك الحق يسري
في مائي أروض النفس أصبر
بك أسمو ومنك آتي وأعدو
فلماذا أضيق أو أتحسر
إن درب الحياة درب عسير
صوت ثكلى أو دمة تتحدر
بك يا رب لن أضل طريقي
فأخو الخير للعلل يتبصر
ويختم العصماني هذه القصيدة التي نشرت في ملحق الأربعاء
لجريدة المدينة يوم الأربعاء ١٠ شعبان عام ١٤١٥هـ بقوله:
بك يا ربُّ لن تلين قناتي
أنت أقوى وأنت أسمى وأكبرُ



من أسباب الفتح الأعظم

ولقد وصف فتح مكة، بالفتح الأعظم. وقد كان في رمضان سنة ثمان من الهجرة. وقد ذكرها الله في غير موضع من القرآن. فقال تعالى في سورة الحديد آية ١٠ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾. وقال تعالى في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

ولقد أورد الحافظ بن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» أقوالاً كثيرة في مسببات غزوة الفتح الأعظم.. من ذلك قوله: وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق حدثني عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل. ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده.. وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً. ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له - الوتير - وهو قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد. وهذا الليل وما يرانا من أحد. فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح. وقتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ. وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير. حتى قدم على

رسول الله ﷺ يخبر الخبر. وقد قال أبيات شعر. فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدھا إياه:

يا رب إني ناشد محمدا
حَلَفَ أبيه وأبينا الأتلا
قد كنتموا ولداً وكنا والدا
ثَمَّتَ اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبدا
وإدع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا
أن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزيدا
أن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا زُكما وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم». فما يرح حتى مرت بنا عانة في السماء فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب». وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز. وكتبهم مخرجه. وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى ييغتهم في بلادهم.

التوكل على الله في طلب الرزق!!

يكون للسعي في طلب الرزق وغيره من حوائج الدنيا ثمرة إذا كان الاعتماد في ذلك على الله وكان طالب الرزق قد استشعر الإيمان بأن ما قدر له كائن لا محالة. وإن ما لم يقدر له لم يكن مهما كانت الحالة.

ثم الأخذ في الاعتبار بأن الحرص في طلب الرزق لا يحقق نتيجة ما لم يصحبه نية صادقة بأن التوفيق يأتي من الله.. وأن السعي ما هو إلا مجرد التماس وتحسس له... وإذا لم يكن المنطلق في طلب الرزق قائم على التوكل على الله فإنه مهما جد الإنسان واجتهد فإنه لن يفلح في طلبه، ولن يحصل على مبتغاه.

والسعي الذي يكون منطلقه التوكل على الله يحجب نظر الساعي عما في يد غيره ويحول دون الاسترفاد من الناس. بل إنه يبعث نشاطاً يثمر بما كان مأمولاً.

يروى أنه قدم البصرة رجلان يسترفدان عبد الله بن عامر - خال عثمان بن عفان رضي الله عنه - وكان جواداً ممدحاً. وكان أحدهما ابن جابر الأنصاري، والآخر رجل ثقيفي؛ فلما قربا من البصرة نزلاً، فصلى ابن جابر ركعتين واستخار الله ثم قال للثقيفي: ما رأيك في الرجوع؟ فقال الثقيفي: أتعبت نفسي، وأكللت مطيتي ثم أرجع بغير شيء؟ فقال ابن جابر: إني قد ندمت على قصده، واستحييت ربي أن يراني طالباً رزقاً من غيره. ثم قال: اللهم رازق ابن عامر وارزقني من فضلك. ثم قفل راجعاً إلى المدينة.. وكان ابن عامر قد أخبر بمسيرهما. فلما دخل

الثقفي على ابن عامر قال له: أين صاحبك؟ فأخبره بحاله. فبكى وقال: والله ما قاله أشراً ولا بطراً. ولكن قاله حقاً فلا جرم إني أضعاف جائزته. فأمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة. وبعث لابن جابر بضعفها فخرج الثقفي يقول:

أمامة ما حرص الحريص بزائد
فتيلاً ولا زهد المقيم بضائر
خرجنا جميعاً من مساقط رأسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الماعجات ببابه
تخلّف عني الخزرجي ابن جابر
وقل ستكفيني عطية قادر
على ما أراد اليوم للباس قاهر
وقال الذي أعطى العراق ابن عامر
لربي الذي أرجو لسد مفاقر
فلما رأيته سال عنه مبالغاً
وحنّ كما حنت طراب الأباغر
وأضعف من حظ له في عطائه
على حظ لهفان من الحرص فاغر
فأبُتْ وقد أيقنْتُ أن لليس نفعي
ولا ضائري شيء خلاف المقادر



الشاي والقهوة في المنتدى والرحلة!!

ولعله من بديهي القول. بل من واقع الحال. إذا قلنا أن الشاي وقهوة البن قد أصبحتا في عصرنا هذا من زاد الرحلة ومتطلباتها. بل هما من حوائجها الرئيسية التي يكون لتحضيرهما الأولوية.

وليس في الأمر غرابة فهما - وأعني بذلك القهوة والشاي - قد أصبح تناولهما بين الحين والآخر خلال كل أربع وعشرين ساعة أمراً ضرورياً لدى معظم الناس. والقليل القليل بل النادر من الناس هو الذي لا يعبأ بفقدتهما.

ولهذا نجد أن أول ما يحظى بالتجهيز للرحلة هو الشاي والقهوة وأوانيهما.. ونظراً لهذا الاهتمام فقد ألفت في قهوة البن كتاباً من ثلاثة أجزاء سميته: «الصفوة مما قيل في القهوة». فكان كتاباً فريد من نوعه من حيث التقصي في البحث عن أدبيات القهوة. وكل ما يرتبط بها من تحليلات علمية وأدبية. وأشعار فصيحة وعامية.

ومن أدبيات الشاي والقهوة التي تأتي ضمن قصائد الشعراء. ما ذكر من أن الشيخ محمد عبد الله آل عبد القادر قد قام برحلة إلى عين أم سبعة بالأحساء مع ليف من أصحابه وأصدقائه.

وعين أم سبعة هي عين ذات سبعة أنهر فيما أعلم، وهي تقع في وسط شاعرية كثران من الرمال النقية الذهبية اللون. وقد حرك طبيعة منظرها شاعرية الشيخ محمد آل عبد القادر فانجالت عن قصيدة جميلة منها قوله:

رعى الله يوماً قد طوينا نهاره

بكثبان رمل زينتها الجداول

نجوم عليها دائماً - أما سبعة -
بماء كبلور جلته الصياقل
ومنها قوله :

كان جموع النخل في عرصاتها
صفوف عذاري جمّلتها الغلائل
إذا رَوّحت ربح الشمال رؤوسها
تميل كما مال المحب المواصل
فيا حبذا برد النسيم بظلها
ويا حبذا ذاك النقا والمنازل
أدونا كؤوس الشاي فيها كأنها
نجوم تلالا للسرور وسائل
وعززها الساقى بين حكى لنا
لمى شفة الحسناء فنعم المناهل
بأجمعها نجني الهموم ونجتني
ثمار الهنا والأنس.. والكل حاصل



ممدوح حقي يفضل الكلاب على بعض الصحاب!!

وسوء المعاملة التي تقوم في بعض الأحيان بين الناس . وما يصحبها من إساءات متبادلة أو هي تأتي من جانب واحد يصعب على الجانب الثاني تحملها والإغضاء عليها . . قد فتح باباً يدخل منه الذين يهتمهم تقييم الناس . ووصف ما هم عليه من علاقات اجتماعية .

وهو باب يدل على مثالهم وخبت طويتهم . أكثر مما يدل على مناقبهم وطارة نفوسهم .

وحصيلة التجارب مع بعض الناس الذين يتلونون تلون الحرباء . ولا يدفعهم إلى الدخول في الصداقة مع غيرهم سواء المنفعة التي يكون بفقدائها فقد الصداقة . وهذا النوع من الناس قد فُضلت صحبة الكلاب على صحبتهم ، لأنهم لا يفون لصديق كما يفني الكلب لصاحبه . ولا يذبون عن قريب كما يذب الكلب عن أهله . فهم إذاً لا يقارنون بالكلاب في مجال النخوة . ولا من حيث الحمية . والمحافظة على أواصر الصداقة .

ولقد أكثر الشعراء من الإشارة إلى أن الكلب أوفى من بعض الناس . وهي إشارة مبنية على تجارب وحكايات محققة عن وفاء الكلب لصاحبه .

من أولئك الشعراء الشاعر الدكتور ممدوح حقي الذي صنع قصيدة حول ذلك . وجعل عنوانها - صحاب وكلات - منها قوله :

يسائلني صاحبي عن كلابي

وهن أعز من بعض الصحاب

وهم لا يسألون لكي يجابوا
فكلُّ مدرِّك رجَّع الجواب

فقد غصت ببعض الناس نفسي
وأحوجني الكلابُ إلى الكلاب

مثالٌ في الوفاء فلا تبارى
وبعض الناس غداً الغياب

ومنها قوله :

فكيف أفضلُ البشر المرائي
على كلبٍ ودود لا يحابي

وبعض الناس أخلاق الثعالي
وبعض الناس أخلاق الذئاب

ومنها قوله :

ولو ملكْتُ على التعبير نُطقاً
لجاء مقالها فصل الخطاب

وكانتُ أشعر الشعراء وصفاً
لنقص الناس عن قدر الكلاب

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ خمسة وعشرين بيتاً وقد
تضمنها ديوانه - ديوان الصياد - الذي وصفه بأنه أول ديوان من نوعه
في جميع اللغات.



تساؤلات واستفتاءات فلسفية!!

وبعض الشعراء يطيب له أن يمد جسراً بينه وبين علماء وفقهاء زمانه ليمرر من خلاله بعضاً من خواطره الفلسفية. وتداعيات خيالاته الأدبية.. وليجعل منه همزة وصل تصنع مفتاحاً للمداعبة التي يمنع من تعثرها في الطريق الموصلة إليهم حسن صياغتها والتزام أسلوبها بمبادئ الأدب الذي لا يجد الإنكار إليه سبيلاً والشاعر ابن قلاقس واسمه أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوق بن علي بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي الأسكندري الملقب بالقاضي الأعز والمولود بالإسكندرية عام ٥٣٢هـ، والمتوفى سنة ٥٦٦هـ كان واحداً من أولئك الشعراء الذين كان لهم اتصال شعري بالعلماء والفقهاء..

وقد وجه ابن قلاقس إلى بعض من معاصريه من العلماء والفقهاء بقصائد تشتمل في معظمها على استطلاع آرائهم. ولا تخلو مقدماتها من الغزل كعادة الشعراء القدامى. فمن أولئك القضاة والعلماء القاضي أبو علي عبد الرحيم البيساني المولود عام ٥٢٩هـ، والمتوفى سنة ٥٦٦هـ، والقاضي الأشرف أبو المكارم حسن بن القاضي الوجيه أبي محمد عبد الله بن الحباب.. والشيخ الفقيه أبي العباس أحمد الآبي المتوفى سنة ٥٩٦هـ، والقاضي أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب التميمي السعدي.. والفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن سند اللكي والقاضي سعيد بن خليف.. وغيرهم كثير.. إلا أنه خص الفقيه الإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني بأكثر قصائده.

ومن القصائد التي وجه بها إلى الفقيه الحافظ أحمد بن محمد

السلفي قصيدة ضمنها عدداً من التساؤلات والاستفتاءات الفلسفية التي
يجد المحلل الفلسفي فيها مرتعاً خصباً. وذلك مثل قوله منها:

ما الطويل الذراع مثل القصير
لا ولا الأذكاء مثل الحمير

لا ولا الميت يستوي هو والحي
ولا الظل فاعلمن كالحرور

لا ولا من يكن عن الخلق أعمى
فاعلمن ذا مثل اللبيب البصير

لا وليس البخيل مثل الذي في
ض نداء يُزري بفيض البحور

ومثل قوله منها أيضاً:

افتنا في قضية ليس تخفى
عن كبير من الورى وصغير

هل تقاس الذئاب بالأسد قدراً
وتكون الديوك مثل النسور

أو يقاس الصحيح بالعدم أو هل
ينظرن ظلمة الدجى كالنور

أو يهَمّ السماء أن ينبح الكد
ب ألا فابعدن بكلب حقير



يوم الفتح الأعظم، فتح مكة!!

جاء في - البداية والنهاية - للحافظ ابن كثير أنه لما وصل جيش المسلمين بقيادة قائد الأمة الإسلامية ومنقذها بعد الله من الضلال محمد بن عبد الله . إلى المنزل الذي يلقي العدو . فرّق عليه الصلاة والسلام الجيش . فأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة من الليط بأسفل مكة في بعض من الناس . وكان خالد على المجنبه اليمنى من الجيش ، وأمر الزبير بن العوام أن يدخل مكة في بعض من الناس من كداء . وكان الزبير على المجنبه اليسرى . وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض من الناس مكة من كُدَى . وكانت معه راية الأنصار . . فانتظم الأمر في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة من الهجرة الشريفة . وسار جيش المسلمين الذي قيل : إن قوامه اثنا عشر ألف مقاتل ، وأبو عبيدة بن الجراح في الصف من المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ . ودخل من أذاخر . وقيل من كُدَى . . وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح . وأتى النساء يلطنن وجوه الخيل فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان؟ » فأنشد أبو بكر رضي الله عنه قول حسان :

عدمتُ بنيّتي إن لم تروها

تثير النقع من كنفي كداء

ينازعن الأعنة مسرجات

يُلَطِّمنهن بالخمير النساء

ويروى عن جابر بن عبد الله أنه قال : دفع رسول الله الراية يوم فتح

مكة إلى سعد بن عبادة. فجعل يهزها ويقول: اليوم يوم الملحمة يوم تستحل
الحرمة - يعني الكعبة - قال: فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم. قال:
فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيرة وأنشأت تقول؛ ومن قولها:

يا نبي الهدى إليك لجا ح
ي قريش ولات حين لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأر
ض وعاداهم إله السماء

[والتقت حلقات البطان على القو
م ونودوا بالصَّيلم الصلعاء]^(١)

أن سعداً يريد قاصمة الظهر
ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغي
ظ رمانا بالنسر والعمواء

[فأنهينهُ فإنه الأسدُ الأسدُ
ودُ والليث والغ في الدماء]

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة
بهم. وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن
سعد.. قال: فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا يخيبها إذ
رغبت إليه واستغاثت به. وأحب أن لا يغضبه فأخذ الراية منه فدفعها
إلى ابنه... وهذه هي أهم صفات دخول مكة.

(١) جاء في التعليق على هذا البيت قوله: هذا البيت لم يرد في الأصل وإنما
أورده السهيلي في الروض الأنف، ونسب الشعر إلى ضرار بن الخطاب، ولم
يورد البيت المشار إليه بعد هذا بمرجع مع تحويل بعض ألفاظه.
قلت: والأبيات تبلغ فيما ذكرته ثمانية أبيات وقد اكتفيت بنقل ستة منها وفقاً
لمنهجي في تأليف هذا الكتاب.

عندما يرد الخاطب بماذا تحدثه نفسه!!

ورد الخطبة بلا سبب وجيه واضح ربما يضع علامة استفهام بين الخاطب ووالد المخطوبة.. لكن القناعة دائماً تكون مصاحبة للخاطب لأن يحدث نفسه حينما ترد خطبته. بأنما هو لأمر لا يمس شخصيته. ولا يتعلق بسيرته الذاتية؛ كالاقتدار مثلاً، أو عدم التكافؤ في الحياة الاجتماعية، أو ما إلى ذلك من الأمور التي يعاب بها الرجل كسوء الأخلاق وفساد الطبع وغيره.. وأبو فرج الأصبهاني يروي لنا في كتابه «الأغاني» ذلك الكتاب الذي يعد تأريخاً أدبياً حافلاً بما جد وهزل من الأخبار الأدبية والتراجم الإعلامية. حيث سجل لنا شيئاً من هذا القليل فذكر عن أبي عمرو قوله: خطب شبيب بن البرصاء واسمه: شبيب بن يزيد بن جمرة. وقيل: جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان - والبرصاء أمه - ولقبت قرصافة لبياضها لا لأنها كان بها برص - وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية. قال أبو عمرو: خطب شبيب إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته. فقال: هي صغيرة. فقال شبيب: لا ولكنك تبغي أن تردني. فقال له يزيد: ما أردت ذلك. ولكن انظر في هذا العام فإذا انصرم فعلي أن أزوجك. فرحل شبيب من عنده مغضباً. فلما مضى قال ليزيد بعض أهله: ما أفلحت. خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته. قال: هي صغيرة. قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده. فبعث إليه يزيد ارجع فقد زوجتك فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك. فأبى شبيب أن يرجع وقال قصيدة هي غاية في الأدب والحكمة. والافتخار.. منها قوله في الحكمة:

ترجى النفوس الشيء لا تستطيعه
وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها
ألا إنما يكفي النفوس إذا اتقت
تقى الله مما حاذرت فيجبرها
ولا خير في العيدان إلا صلابها
ولا ناهضات الطير إلا صقورها
أما في الافتخار فيقول منها:
وإني لتَرَكَ الضغينة قد أرى
ثراها من المولى فلا أستثيرها
مخافة أن يجني عليَّ وإنما
يهيج كبيرات الأمور صغيرها
إذا قيلت العوراء وليت سمعها
سواي ولم أسمع بها ما دبورها
وحاجة نفس قد بلغت وحاجة
تركت إذا ما النفس شح ضميرها
حياء وصبراً في المواطن إنني
حيّ لدى أمثال تلك ستيرها



بيت موصول بأبيات بديهيّة!!

أن القارئ الذي يغوص في أعماق التراث الأدبي يجد مواقف أدبية ملفتة للنظر . . ويخرج منها إن كان كاتباً بدراسة ذات معنى أدبي يستحق التدوين .

أما إذا كان شاعراً فإنه في كثير من الأحيان تكون قراءته لبعض الأشعار مفتاحاً لتجليات شعرية . أو قل هي بالنسبة إليه شرارة ينبعث منها وهج شعري تتمخض عنه قصيدة . تأخذ مكانها في ديوان الشعر . وتحظى بقبول المتلقي لها فتكون موضع دراسة . أو عدة استشهاد لموضوع نثري يتفق فيه هدفه مع روح تلك القصيدة .

والذي يتصفح كتب التراث الأدبي يجد من هذا القبيل الشيء الكثير . . ولعل أصغر أو أبسط صورة لذلك هو ما يجده مضمناً أو موصولاً به بعض القصائد .

ومن شعراء الأدباء من إذا رأى أو أحسن بخمول في شاعرية أحدهم عمد إلى صنع بيت رنان ثم ساقه إليه بأدب ولطافة ثم طلب إليه وصله أو إجازته . فيكون ذلك شبيهاً بالقتيل الملهب ناراً .

قال ابن قلاؤس واسمه أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي اللخمي الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز والمولود عام ٥٣٢هـ ، والمتوفى سنة ٥٦٦هـ . قال : حضرت بين يدي الشيخ الإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني في جماعة فاقترح علينا عمل شيء من الشعر على وزن :

نُعَلِّلُ بالدواء إذا مرضنا

وهل يشفي من الكرب الدواء

فقلت بديها :

أخي دع البطالة واله عنها
وجانبها فعقباها الشفاء
جمال المرء في الدنيا صلاح
وخير بضاعة الحر الحياء
عجبت لمن يميل إلى المعاصي
وتعجبه الملاهي والغناء
وعقبي ذين لو يدري شفاء
يطول وبعده أيضاً عناء
تنبه يا نؤم فلست تدري
عليك بما الذي سبق القضاء
وكلّ الله أمرك إنه في
جميع الخلق يفعل ما يشاء
ولذ بالحافظ الحبر المرجى
ففيه الفضل أجمع والوفاء
والقصيدة أطول من ذلك وقد تضمنها ديوان ابن قلاقس .



النشار يهدد باستخدام المنشار!!

والنشار ليس بشخص مشتهر بنشاط نشر الأخشاب أو صاحب حرف ترتبط بما يتعلق بمفهوم النشارة والمنشار.. وإنما هو شاعر مصري معاصر ولد بمدينة دمياط عام ١٨٩٥م، وتوفي عام ١٩٧٢م. واسمه عبد اللطيف محمد حمدي النشار.. وفي شعره جودة وحسن صناعة.. وهو يجمع في شعره بين الحماسة، والحكمة، والفكاهة، والهجاء، وله في الوصف والغزل وقفات.

وله ديوان شعر اسمه «ديوان النشار» قامت بجمعه وطباعته الهيئة المصرية العامة للكتاب. سأختار منه بعض الأشعار إن شاء الله. أما نشاطه الذي قلنا أنه بعيد عن النشارة والمنشار.. فقد ذكر في مقدمة ديوانه أنه ناقد فني ومترجم. وأنه قد اشتغل بالترجمة عمل بالصحافة ما يقارب ٦٠ عاماً، وقيل: إنه له ديوانا شعر صغيران هما: «مجنة فرعون» والآخر «نار موسى» ولم أقرأهما ولعلهما ضمما إلى ديوانه «ديوان النشار».

والشاعر النشار واحد من الذين ترجموا رباعيات الخيام شعراً.. وقد كانت ترجمته هي من أقرب التراجم إلى أسلوب وطريقة الخيام. وكان له وظيفة في المحاكم التي بقى فيها موظفاً طوال ٣٠ عاماً. وإذا كان عنوان هذا الموضوع ملقياً للنظر فإنما هو من النشار نفسه حيث قال في بيت مفرد:

وكل ما قابل النشار ينشره
فاحذر مغاضبة النشار يا «خشبة»

إنه تحذير قصد به رفع شأنه وشبه فيه من يحاول مغاضبته بالخشبة
التي تقع تحت فعل المنشار. في أسلوب هو أقرب إلى الفكاهة التي لا
يخلو منها ديوانه. وذلك مثل نصحه في إحدى قصائده لشخص يدي
موسى بأن لا يدخل في جدال أو معايات مع - عبد الفتاح - الذي
يملك قوة تفرض إرادته وتحقق مطلبه. وإن لم يكن واقعياً.. من تلك
القصيدة قوله:

قام موسى مجادلاً.. قلت يا مو
سى تراجع فاليوم يوم عصب
ما أرى اليوم ينتهي بسلام
إن رجعنا وبعضنا مضروب
ليس عبد الفتاح بالرجل العا
قل حتى يرده التأديب
هو مثل الفرسان في الزمن الغا
بر يمشى. والموت منه قريب
أينما سار راضياً أو غضوباً
تبعمته معارك وحروب
لو أطلنا جداله لصرعنا
وجرى في الثرى دم مصبوب
لا تجادل من عقله في ذراعيه
ه فماضي الحياة ليس يؤب



لون من ألوان الفلسفة والفكاهة والحكمة!!

سأورد عما قليل أبياتاً أربعة هي من قول الشاعر عبد اللطيف النشار المولود بمدينة دمياط بمصر سنة ١٨٩٥م، والمتوفى سنة ١٩٧٢م.. هي في الحقيقة تترجم في معناها الإيجازي قصة ذات فصول تشتمل على جد وهزل معاً.. فهي ذات معنى أدبي يوصف بالفكاهة.. وهي في نفس الوقت ذات معنى سياسي ينبذ السذاجة. وينشط الإدراك الخامل.. ويوقظ الفطنة من الغفلة عن تحريك هاجس التفكير فيما يعترض الحياة من أمور خاصة، أو عامة لدى بعض الناس..

وهي في نظر الآخرين غباء وسوء تصرف يندرج تحت السخرية من النفس حيناً، ويأخذ طابع الفكاهة حيناً آخر. والأبيات هي هذه:

أبصر الكلب وجهه في غدير
وجه كلب ما بين فكيه عظمه
لم يكن جائعاً ولكن حرصاً
لم يزل في طباعه هاج لؤمه
فعوى بحسب العواء سلاحاً
سوف يجديه حين يفرع خصمه
فقد العظمة التي في في
ه وبعض الطموح عن ضعف همه

وإذا ابتعدنا قليلاً عن شعرة الممزوج جده بهزله.. والذي أوجد فيه تداخلاً يناسب مختلف المفاهيم الفكرية لدى قرائه.. ويضرب به في

جانب من مسالك الفلسفة الأدبية والسياسية والاجتماعية أيضاً.. وبحثنا
عن لون آخر من ألوان الشعر في ديوانه الذي ضم معظم قصائده فإننا
نجد له وقفات اجتماعية تتصف بوجهات النظر الصائبة والحكيمة..
وبالإرشاد السديد، والدعوة بصريح العبارة إلى التآزر على متطلبات
الحياة، والأخذ بيد المحتاج، ومواساته.. وذلك مثل قوله في قصيدة له:

لئن لم يساعد بعضنا البعض حسبة
فيوشك أن يبلى من الحقد أقوام

إذا أرق الجوع الفقير.. فلا تقل
له الويل.. بل ويل لمن حوله ناموا

لهم أحسنوا إحسانهم لا لغيرهم
إذا نال حق الله من يافث حام

دع الفخر بالأحساب إن كنت محسناً
لنفسك ما قدمت والدهر أيام

والقصيدة طويلة نوعاً ما فهي تبلغ نحواً من ستة عشر بيتاً. وهي
ضمن قصائد ديوانه - ديوان النشار - الذي قامت على جمعه وطباعته،
الهيئة المصرية العامة للكتاب.



إقامة كإقامة عسيب!!

وعسيب: قيل إنه جبل اتفق بسفحه أحداث.. لكن أين موقعه؟ وهل هناك جبلان أو أجبل متباعدة يُسمّى كل منها عسيباً؟ والبحث عن الإجابة على ذلك لا تفرضه الناحية الجغرافية من حيث معرفة مواقع الجبال وأسمائها فحسب.. ولكن من حيث إن بعض الشعراء كان لهم مواقف استدعت حالتها ذكر «عسيب» فيما يشبه الرثاء أو التفجع على من دفن بجوارها.

ومن خلال ما نقرأوه من الأشعار التي تتضمن ذكر عسيب نذكر أن هناك جبلين كل منهما يُسمّى عسيباً. فالشاعر الجاهلي امرؤ القيس ذكر - عسيباً - وهو في طريقه من أنقره بعدما انتهى من زيارته لقصير ملك الروم.. وهي زيارة كان لها أهداف سياسية.. وقد نسجت حولها أقوال متضاربة ذكرها الأستاذ حسن السندوبي في مقدمة ديوان امرؤ القيس.

أما عسيب فقد كان سبب ذكره أن امرؤ القيس نزل بسفحه أصابه المرض فرأى بقربه قبراً دفنت فيه امرأة من أبناء الملوك. فقال مخاطباً تلك المرأة بعدما أحس بالموت بسبب تقرح جلده:

أجارتنا إن الخطوب تنوب
وإني مقيم ما أقام عسيبُ
أجارتنا إنا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب
فإن تصلينا فالقراية بيننا
وإن تصرفينا فالقريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب
وما هو آت في الزمان قريب
وليس غريباً من تناءت دياره
ولكن من وارى التراب غريب

أما عسيب الثاني فقد ذكر صخر بن عمرو بن أسد بن خزيمة،
أخو الخنساء في أبيات ذيل بها قصة طويلة نوعاً ما، ذكرها الميداني
في كتابه «مجمع الأمثال» عندما ذكر المثل القائل: «قد حيل بين العير
والتزوان» وهي هذه:

أجارتنا إن الحتوف تنوب
على الناس كل المخطئين تصيب
أجارتنا إن تسأليني فإنني
مقيم لعمري ما أقام عسيب
كأني وقد أدنوا لحز شفاوهم
من الصبر دامي الصفحتين نكيب

قال الميداني: ثم مات ودفن إلى جنب عسيب. وهو جبل يقرب
من المدينة. وقبره معلم هناك. وسبب موته أنه نتأت قطعة من جنبه مثل
اللبد في موضع طعنة تلقاها من أبي ثور الأسدي بسبب حكاية يطول
ذكرها هنا. لكنه من الممكن الرجوع إلى المثل السالف لمعرفة فحواها.
فقطعت تلك القطعة الناتئة في جنبه فمات بسبب قطعها.



الله يخلي لي دم عريقبي!!

في ناحيتنا في منطقة سدير التي تبعد عن الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية من الناحية الشمالية الغربية بحوالي ١٧٠ كم، أسمع العجائز وهن يدعين عند ذكر أولادهن بلهجة عامية بهذا الدعاء «الله يخلي لي دم عريقبي» ومعناه عندهن، أسأل الله أن يقي لي ولدي.

وقد ضلت نغمة هذا الدعاء بتلك الجهة عالقة في أذني حيث إنه لم يغلب الشك عندي في أنه ليس له أصل في تراثنا الأدبي.. إلى أن عثرت على المثل القائل: «وَلَدُكَ مِنْ دَمِي عَقْبِيكَ» في مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ. وتفسير الميداني له هو قوله: الولد لغة في الولد حكى المفضل أن امرأة الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهي امرأة من بلقين ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة بنت عروة بن جعفر بن كلاب. فقدم عقيل على أمه يوماً فضربته فجاءتها كبشة حتى منعتها وقالت: ابني ابني. فقالت: القينة ولدك - ويروى ابنك - من دمي عقيبك؛ يعني الذي نفست به فأدمى النفاس عقيبك؛ أي من ولده فهو ابنك لا هذا فرجعت كبشة وقد ساءها ما سمعت ثم ولدت بعد ذلك عامر بن الطفيل.

قلت: وعامر بن الطفيل هو: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر أنهى الناسون نسبه إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أما أمه فهي كبشة بنت عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر. وقد كانت وفاته في السنة العاشرة من الهجرة أو بعدها: وهو يكنى بأبي علي.

وهو شاعر يمتاز شعره بالاعتزاز بالنفس، وهو كثير الافتخار
بقومه. ويظهر حبه لفرسه، وكان يعدّ من أشهر فرسان العرب، وله
وقائع مع مذحج وغطفان، وخشعم، ومع شجاعته، وصف بالسخاء
والحلم.. أما شعره فمن قوله:

لِلْمُقْرَبَاتِ غَدُوٌّ حِينَ نَحْضُرُهَا
وغارة تستثير النقع في رهج
فما يفارقني المزنوقُ محتملاً
رحالةً شدّها المضمار بالشَّج^(١)
إذا نعى الحرب ناعوها بدت لهم
أبناءً عامر تُزجى كل مُخْتَرَج
عليهم البيض والأبدان سابغةً
يُقَحَّمُونَ كأن القوم في رهج
صَبَحْنَ عبسا عداة الروع آونة
وهُنَّ عالين بابين الجون في درج
وانقضّت الخيل من وادي الذناب وقد
أصغت أسنّتها حمراً من الودج
إن تسألي الخيل عنا في مواقفها
يوم المشقر والأبطال في زعج
تُخبرك أنني أعيد الكرّ بينهم
إذا القنا حُطَمْتُ في يوم معتلج



(١) المزنوق: اسم فرس عامر بن الطفيل.

كافور وقهرمانته

والذي يتصفح كتب التراث الأدبي يجدها مليئة من طرائف الأخبار ونوادر المواقف الأمر الذي يشجع كل ذي قلم على نقلها. وإفرادها في موضع مستقل تحت عنوان معين يمكنه من الرجوع إليه بصورتها أو يهذبها تهذيباً يشوق لقراءتها.

من ذلك مثلاً ما كان لكافور الأخشيدي مع قهرمانته من موقف طريف ونادر يحسن بي استخلاصه من ترجمة حياة كافور الذي توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٠هـ، عن عمر ناهز الخامسة والستين وذلك بمضي ستين وثلاثة أشهر على ولاية مصر والشام وبعض الأمصار.. والموقف كما جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان. هو أنه كان في دار كافور قهرمانة بغدادية ما تهدأ من البكاء على ابنة لها خلفتها ببغداد بنت سبع سنين فقال لها كافور: منذ كم غبت عنها؟ فقالت: من ثمان سنين. فأرسل كافور أمراً إلى صاحب له ببغداد وأمره بتحصيلها وإنفاذها. فحملت الصبية إلى مصر. وقد صارت بنت ست عشرة سنة وحسنت. فلما جاءت إلى دار كافور قال للجواري: أخرجنها عليّ في جوار يعرضن للبيع ولا تعلم القهرمانة. وتكون هي التي تخرجهن فجاءت إليه القهرمانة فقالت: يا مولاي. قد جاؤا بالجواري فأعرضهن عليك؟ فقال: افعلي. فاخرجتهن وبنتهن فيهن ولا تعلم؛ فلما عرض قال كافور للقهرمانة: ما فيهن إلا هذه الصبية، وأراها مليحة، فأيش عندك؟ فقالت القهرمانة: نعم يا مولاي، هي والله مليحة حلوة. فقال لها: ويحك هي ابنتك، أرسلت إلي من بغداد وتلطفت في أمرها حتى حملت إليك من بغداد. فقبلت الأرض بين يديه، وبكت بكاء شديداً فكانها القائل في بعض شعره:

هجم السرور عليّ حتى إنه
من عظم ما قد سرنى أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة
تبكين في فرح وفي أحزان
قلتُ: وكأني بلسان حالها يقول ما قاله أبو تمام:
أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذي واساك في الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يالفهم في المنزل الخشن
ولكأنها القائل وأحسبه «معقل أخو أبي دلف» في بث ما بنفسها
لمولاها:

لعمري وإن قرت بقربك أعين
لقد سخنت بالبين عنك عيون
فسر أو أقم وقف عليك مودتي
مكانك من قبلي عليك مصون
وكأني بها وقد التفت إليها كافور ينظر إليها وهي تضم بكل شوق
ابتها تمثل بقول ابن الخياط:

يهوى الثناء مبرر ومقصر
حب الثناء طبيعة الإنسان
ثم لكأني بكافور الأخشيدي يرسم الصورة التي رآها متمثلاً بقول
ابن الرومي:

أعانقه والنعمس بعد مشوقة
إليه وهل بعد العناق تداني

عامر يطلب إلى النبي المخاللة وإلى الموت المبارزة!!!

وعامر: هو عامر بن الطفيل تقدمت ترجمته في هذا الجزء عنوان: «الله يخلي لي دم عريقيبي» قيل: إنه لما علم بانتصارات النبي ﷺ ومبايعة القبائل له. خطر بباله أن يشاطره السلطان فجاءه في وفد من قومه من السنة العاشرة. يصحبه أربد أخو ليبد الشاعر. وقد اتفق وأربد على أن يشغل عامر النبي بالحديث ويعلوه أربد بالسيف. ولكن هذا لم يجرؤ واحتج لعامر حينما لأمه بأنه كلما هم بأن يضرب النبي يرى عامرا حائلاً بينهما.

وقد طلب عامر من النبي أن يتخذ خليلاً فقال له النبي ﷺ: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده». فرضي أن يؤمن على أن يكون له سكان الخيام وللنبي سكان القرى، وأن يجعل له نصف ثمار المدينة. فرفض النبي ﷺ فخرج مغضباً وهو يقول: لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مردأً، ولأربطن بكل نخلة فرساً. فقال النبي: «اللهم اكفني عامراً واهد بني عامر».

وفيما كان عامر عائداً وأربد سقطت صاعقة على أربد فقتلته وأصيب عامر بالطاعون في عنقه فاحتبس في بيت امرأة من قبيلة سلول، وهي من القبائل المستضعفة، فكان يصيح غيظاً وألماً: يا موت ابرز لي!! أغدّة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية.. وظل كذلك إلى أن هلك. فنصب عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل رحمةً على قبره، لا تدخله ماشية، ولا تنشر فيه راعية ولا ترعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش.

وكان جبّار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر غائباً. فلما قدم

قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حمى على قبر عامر.. قال:
ضيقتم على أبي عليّ. إن أبا عليّ بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش
حتى تعطش الإبل، ولا يضل حتى يضل النجم، ولا يجبن حتى يجبن
الليل، ولا يقف حتى يقف السيل، والحرف الرابع زيادة أبي العباس.
وعامر بن الطفيل شاعر، وله ديوان مطبوع. ومن شعره قوله يفتخر
بنفسه وشجاعته وقوته:

لقد تعلم الحرب أتني ابنُها
وأني الهمام بها المُعلِّمُ
وأني أحلّ على رهوة
والمجد في الشرف الأعظم
وأني أشمّصُ بالدارعيـ
ن في ثورة الرهج الاقتسم
وأني أكر إذا أحجموا
بأكرم من عطفه الضيفم
وأضرب بالسيف يوم الوغى
أُقَدّ به حلق المُبرَم
فهذا عتادى لَوَ أنّ الفتى
يعمر في غير ما يهرم
وقد علم الحيّ من عامر
بأن لنا ذروة الأجسم
وأنا المصاليـت يوم الوغى
إذا ما العواوير لم تُقدم^(١)

(١) العواوير: جمع عوار، وهو الجبان.

جزء من صفة دخول رسول الله مكة!!

لقد كان فتح مكة في أرجح الأقوال في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك من العام الثامن من الهجرة النبوية الشريفة. وقد كانت صفته ﷺ يوم دخلوه مكة. ما روي عن جابر أن النبي ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنه كان لواء رسول الله ﷺ يوم فتح مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب. وكانت قطعة من مرط رجل. وروي البخاري عن عبد الله بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء. وأنه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما كرمه الله به من الفتح حتى أن عثونه ليكاد يمس واسطة الرحل.

وروي عن ابن مسعود أن رجلاً كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذه الرعدة فقال: «هون عليك فإنما أنا ابن امرأة تأكل القديد».

وروي عن ابن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل. وسهيل بن عروة وكانوا قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا. وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه فقالت له امرأته: لماذا تعد ما

أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه. فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال: والله إنني لأرجو أن أخدمك بعضهم.. ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهل. فلما لقيهم المسلمون وقتلوا منهم قريباً من ثلاثة عشر شخصاً انهزم حماس حتى دخل بيته. ثم قال لامرأته اغلقي علي الباب. قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة
إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمتومة
واستقبلتهم بالسيوف المسلّمة
نقطعن كل ساعد وجمجمة
ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

إلا أن ابن هشام قال: وتروى هذه الأبيات للرعاش الهذلي.



خدمة الحجاج وسلامتهم على رأس اهتمامات الدولة!!

لقد كان للحجاج مساهمة في دعم ما يقدم لهم من خدمات وذلك على هيئة رسوم يدفعها الحجاج عند قدومهم.

وتخفيفاً عن كاهل الحاج أصدر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن يرحمه الله مرسوماً بإلغاء الرسوم التي كانت مفروضة على الحجاج. وقد ترجم ذلك المرسوم رخاء العيش الذي تتمتع به المملكة. وهو رخاء كان من أولوياته إلغاء الرسوم حيث لم تعد الدولة في حاجة إلى تحصيل تلك الرسوم التي كانت تستعين بها في السابق على خدمة الحجاج.

أقول: منذ ذلك الحين والدولة السعودية تسعى لراحة الحجاج وتبحث عن أفضل السبل التي تيسر لهم تأدية حجهم في رخاء وأمن وصحة واستقرار نفسي يجلب السعادة الروحية. والطمأنية القلبية لهم.

والذي يحج مرة في عصرنا هذا يدرك تمام الإدراك نشاطات جميع قطاعات الدولة ويتبين له أن خدمة الحجاج وسلامتهم على رأس اهتمامات الدولة.

أما إلغاء الرسوم التي كانت مفروضة على الحجاج بالصورة التي أشرت إليها آنفاً فقد كان له صدى واسع في حينه ولهجت به ألسن الحجاج. وأشادت به الشعراء.. وكان من بين الشعراء الذين أشاءوا بإلغاء الرسوم الشاعر الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان الذي صنع قصيدة نوه فيها بأريحية الملك عبد العزيز. وحبه لخدمه الحجاج. منها قوله:

وفود الورى بين الحطيم وزمزم
تمدُّ يداً من خالص القلب والفم
تنادي بقلب خاشع متذلّل
وتنشر شكراً للمليك المعظم
إمام الورى عبد العزيز بن فيصل
كريم السجايا مع تقى وتكرم
بما قد حباهم من كرامة ماجد
بوضع رسوم في الورى متقدم
ولو أنه من قبل يصرف كله
لمصلحة الحجّاج في كل موسم
ولكن ذا من بعض إنعامه على
وفود الورى في الحجّ إعطاء منعم
ومنها قوله:

سعى جهده في راحة الناس كلهم
ببذل نفوس مع ملايين درهم
ولا سيما من جاء للحجّ قاصداً
وصولاً لعون من مسير ومطعم
والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٦ بيتاً وقد ضمها الجزء
الأول من ديوانه: «ديوان الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان» الذي
حققه وقدم له الدكتور: إبراهيم فوزان الفوزان.



الشعر في رسم صورة خدمات الحجاج!!

إن مليوني نسمة تتجه في يوم واحد إلى صعيد واحد. ثم تنصرف منه في ساعة واحدة لهو أمر يحتاج إلى جهود جبارة ذات أداء مختلف. وخدمات متنوعة. بدءاً بالمرور وتنظيم السير. ومروراً بالأمن وتوفير المياه للشرب وللأغراض الأخرى. وتلطيف المناخ الجوي الذي يأتي في سنوات من كل عصر هي غاية في ارتفاع درجة الحرارة.. وانتهاء بالصحة العامة ومراقبة ظهور الأمراض الوبائية، ومشكلات النظافة، وما يسببه الزحام من ضياع ومن بعض الأمور التي تقع بين ذلك التجمع العظيم - أعنى بالتجمع العظيم - تجمع الحجيج الذي صار يبلغ تعداده أكثر من مليوني حاج على صعيد عرفة ومن في أيام معدودة ومفروضة على كل من قصد الحج.

وبحكم أن مشاعر الحج والحرمين الشريفين جزءاً من مملكتنا الحبيبة. فإن الحجاج القادمين إليها لتأدية مناسك الحج أو العمرة أو الزيارة هم ضيوف على بلادنا. وتجب علينا خدمتهم وتقديم كل ما يلزم لراحتهم حتى يتفرغوا لأداء مناسكهم بكل طمأنينة ويسر وراحة بال... أما حكومتنا الرشيدة فقد حرصت كل الحرص على سلامة الحجاج من جميع الوجوه وقد جندت جميع الإمكانيات التي من شأنها تقديم أفضل الخدمات لهم بلا من ولا تمن.

وجمع كالجمع الذي ذكرته أنفاً لا بد أن ترصد لخدمته أموال طائلة. وطاقات بشرية هائلة تبذل في سبيل راحة ذلك الجمع جهوداً كبيرة.

ولهذا فإنه في كل عام تُقَيَّمُ الجهود وينظر إلى ما كان فيه تقصير
فيتدارك في العام الذي يلي وهكذا كل عام.

وفي حج عام ١٤١٢هـ الذي شهد تجمعاً عظيماً ناف تعداداه على
مليونين نسمة. نظم الشاعر السعودي عمر عبد ربه قصيدة رسم فيها
جانب من صورة الخدمات التي تقدم للحجاج. وما لها من إيجابيات.
منها قوله:

عُدْنَا من الحج لا «حمى» ولا مرض
ولا انْفُلُونْزاً ولا زكماً ولا نصبُ
ولا وباء ولا أمراض معدية
وكُلِّيراً ولا مفساً ولا تعبُ
ولا حوادث وقت السير في طرق
كانت تُعَجُّ «بمليونين» إذا حسبوا
من كل جنس من البلدان أجمعها
حتى من الروس بعضٌ منهموا شيب
مليون شخص بواد واحد وقفوا
كانوا ملبين أن الله يحتسب
مليون آخر من أهل البلاد أتوا
من داخل البيت أو من جاء يكتسب
أدوا الفريضة في يسر وميسرة
من دون خوف ولا بأس ولا كُرب
الكل جاءوا ويرجو منه رحمته
أقضي ثواباً وما في البيت مرتقب



جوار ولد كل منهن خليفتين!!!

اهتم بعض مؤرخي الأدب الذي أصبح تراثاً ومعيناً نغترف منه وننعم بقراءته بتتبع بعض الموافقات الملفتة للنظر. ففي كتاب «البداية والنهاية» لاحظ الحافظ ابن كثير الشيء الكثير من تاريخ الأدب وأشار إليه بشيء من الدقة. ففي مجال توافق الأشياء وتجانسها ما ذكره من الجواري اللائي ولد كل منهن خليفتين. فذكر الولادة بنت العباس العباسية زوجة عبد الملك بن مروان، وهي أم الوليد، وسليمان، وكلاهما ولي الخلافة. وكذلك لشاه فرند بنت فيروز بن يزدرجه ولدت لمولاها الوليد بن عبد الملك، مروان وإبراهيم، وكلاهما ولي الخلافة. وكذلك الخيزران جارية المهدي التي عرضت عليه ليشتريها فأعجبته إلا دقة في ساقها، فقال لها: يا جارية إنك لعل غاية المنى والجمال لولا دقة ساقك وخموشهما. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما. فاستحسن جوابها واشتراها وحظيت عنده جداً. ثم أعتقها وتزوجها وولدت له خليفتين موسى الهادي، والرشيد.

ويروي أن الخيزران حجت مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي بمكة يستوحش لها. ويتشوق إليها بهذا الشعر:

نحن في غاية السرور ولكن
ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي
أنكم غيب ونحن حضور

فأجدوا في السير بل إن قدرتم
أن تطيروا مع الرياح فطيروا
فأجابته أو أمرت من أجابه:

قد أتانا الذي وصفت من الشو
ق فكدنا وما قدرنا نظير
ليت أن الرياح كن يؤدينَ
إليكم ما قد يكن الضمير
لم أزل صبةً فإن كنتَ بعدي
في سرور فدام ذاك السرور

وكان للرشيذ جارية سماها هيلانة لكثرة قولها: هي لأنه، قال
الأصمعي: وكان لها محباً - يعني بذلك الرشيذ - وكانت قبله لخالد بن
يحيى البرمكي. فدخل الرشيذ يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في
طريقه وقالت: أما لنا منك نصيب؟ فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟
فقالت: استوهبني من هذا الشيخ. فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها
له وحظيت عنده. ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت سنة ١٧٣هـ،
فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها. وكان من قوله فيها:

قد قلت لما ضمنوك الثرى
وجالت الحسرة في صدري
إذ هب فلاق الله لا سرنبي
بمعدك شيء آخر الدهر

وبعد أليست هذه وأمثالها لقطات قد دونها لنا علماؤنا فكانت
قراءتها متعة لنا؟!.



توافق الأريحيات في مجال الكرم

يفصل التاريخ بين حياة الملك عبد العزيز آل سعود المولود في ١٢/٢٩/١٢٩٧هـ والمتوفى عام ١٣٧٣هـ وحياة أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالمهدي المولود عام ١٢٦هـ، والمتوفى عام ١٦٩هـ ما مقداره (١٢٠٤) سنة وعلى الأعم من هذا فهناك توافق في الأريحيات وحب الخير. والتوافق في ذلك هو على النحو التالي.. الأول للمهدي. وملخصه: أن أعرابياً رفع كتاباً للمهدي فلما فتح فإذا به قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة. قال هي خط المهدي.. فقال المهدي: صدق هذا خطي؛ إني خرجت يوماً إلى الصيد فضعت عن الجيش فرفع لي نار من بعيد فقصدتها فإذا هذا الشيخ وامرأته في خباء يوقدان ناراً. فسلمت عليهما فرد السلام وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بماء. فما شربت شيئاً إلّا وهي أطيب منه، ونمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أنني نمت أحلى منها. فقام إلى شويهة له فذبحها فسمعتُ امرأته تقول له: عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها. هلكت نفسك وعيالك فما التفت إليها. واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشويهة وقلت له: أعندك شيء أكتب لك فيه كتاباً؟. فأتاني بهذه القطعة. فكتبت له بعود من ذلك الرماد خمسمائة ألف. وإنما أردت خمسين ألفاً. والله لأنفذنها له كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها فأمر له بخمسمائة ألف فقبضها الأعرابي واستمر مقيماً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار. فجعل يقري الضيف ومن مرّ به والناس فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

وما يوافق ذلك من بعض مواقف الملك عبد العزيز والتي جمعت شيئاً منها في كتابي «شذرات ومواجيز». من حياة ومواقف الملك عبد العزيز» هو أن رجلاً شكاً إليه مضايقة الغرماء له، وأن عليه مائة جنيه ذهباً، وطلب من جلالته المساعدة لسدادها. فأمر أن يحقق عن مقدار الدين فثبت أنه كما ذكر فكتب الملك بخطه على الطلب بإعطائه مائة جنيه. ولكنه تغلب عليه الكرم فكتبت يميناه ثلاثة أصفار بدلاً من صفرين - يعني ألف جنيه - ولما وصل الأمر إلى شلهوب مدير مال الخاصة الملكية لاحظ ذلك، فذهب إلى جلالته مستفسراً. فقال: ليس القلم بأكرم مني. فاصرف له ما قسمه الله له فأعطي الرجل الألف جنيه. فأخذها وانصرف داعياً المولى أن يحفظ جلالته.

هذا هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود. وذاك هو المهدي.. أليس في موقفيهما هذين تشابه وتطابق وتوافق أريحي وسخاء عربي تبذله نفس جُلّ همها ما يسعد رعيته.. ولقد نطق الشعر بذلك. فقال الشاعر محمد بن بليهد من قصيدة ممتدحاً عبد العزيز:

عبد العزيز فلا في الناس قاطبة
له قرين حواه البر والبحر

وله من قصيدة أخرى:

عبد العزيز الذي قد كان مرتدياً
بالعدل والجود والإحسان مؤتزرًا

ويقول الشاعر فؤاد شاكر من قصيدة قالها بمناسبة افتتاح المؤتمر الوطني المنعقد برئاسة جلالة الملك عبد العزيز في وادي منى عام ١٣٥٠هـ:

لمن المهابة والكياسة ألقنا
أرسانها ولمن أعد المنبر

ومن الذي حل الندى بل الذي
يخطو الندى إلى علاه ويخطر
عبد العزيز وحسب من ذكر اسمه
بين الملوك وعندهم أن يفخروا
نام الرعاة وأسبلوا أجفانهم
وعيونهم يقظى تجول وتسهر
ملك صنائعه الجميلة جمّة
كالزهر في تعدادها أو أكثر
أفديه من ملك يذود بنفسه
عن دينه وبلاده ما ينكر



كيف عورت عين عامر؟!!

وعامر هو عامر بن الطفيل المتوفى سنة ١٠ من الهجرة. وقد سبقت ترجمته تحت عنوان «الله يخلي لي دم عريقي». أما كيف عورت عينه؟ فقد جاء في مقدمة ديوانه.. فذكر أنه كان في يوم فيف الذي كان بين قومه بني عامر وقبائل اليمن.. حيث غارت هذه القبائل على العامريين في موضع يقال له: فيف الريح، وضايقتهم حتى تقهقروا. وإذا بعامر يقبل عليهم فاشتدت عزائمهم بكراته على الأعداء وفتكه بهم. فاندفعوا معه في حومة الوغى. حتى إن الواحد منهم كان إذا طعن الطعنة ينادي - يا أبا علي «وهي كنية عامر» - وفيما كان عامر متغلغلاً في جموع الأعداء فاجأه من ورائه مسهر بن يزيد الحارثي. وقد رمحه إلى أذنه قائلاً له: عندك يا عمر. وطعنه فأصاب عينه ففقأها. فوثب عامر عن فرسه إلى الأرض ونجا عدواً على رجله والدم يسيل من عينه.

وقد ذكر الراوة حادثاً وقع له بعد عوره مع كسرى أنوشروان. حيث كان في الوفد الذي أرسله النعمان إلى كسرى ليريه فضل العرب. فتكلم عامر بين يدي ملك الفرس فأظهر غلظة وتهديداً يدل على جرأته وخشونته. فقال كسرى: متى تكاهنت يا عامر؟ قال: لست كاهناً ولكني بالرمح طاعناً. قال كسرى: فإن أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما أنت صانع؟ قال: ما هييتي في قفائي بدون هييتي في وجهي.

وكان عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأساً وشدةً ونجدة. وأبعدها اسماً حتى بلغ به ذلك أن قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب

قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإن ذكر نسباً عَظُمَ به عنده.. .
 وكان عمرو بن معدي كرب وهو فارس اليمن يقول: ما أبالي أي ظعينة
 لقيتُ على ماء من أمواه مَعَدُّ ما لم يلقني دونها حُرَّاهَا أو عبداها. يعني
 بالحرين عارم بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي.
 والعبدان: عنترة العبسي والسليك بن سلكة وهو ابن عامر بن يشربي
 السعدي.. . واتهم عامر بخصال مذمومة منها عقمه فهو لا ينسل. وجفاة
 طبعة، وعنجهيته وظلمه، وبخله غير أن قومه لم يلتفتوا إلى كل ذلك.
 فسودوه عليهم بعد أن شاخ سيدهم؛ عمه أبو براء الملقب بملاعب
 الأسنة فأبى أن يسودوه الوراثه لأنه كان يرى في نفسه وأعماله ما يمكن
 له السيادة ويعقد له هالة المجد، فليس له به حاجة إلى أمجاد قومه.. .
 ومما يستدل على ذلك من شعره قوله من قصيدة له:

لقد علمت عُليا هوازن أنني

أنا الفارس الحامي حقيقة جعفراً^(١)

وقد علم المزنوق أني أكرّه

عشية فيف الريح كَرّ المشهر^(٢)

إذا أزورّ من وقع الرماح زجرته

وقلت له ارجع مقبلاً غير مدبر

وأنبأته أن الفرار خزاية

على المرء ما لم يُبَلِّ عذراً فيعذر

ألسـت ترى أرمـاحها في شرعاً

وأنت حصان ماجد العرق قاصر

ومنها قوله:

(١) جعفر هو جده.

(٢) المزنوق: اسم فرسه وله فرس اسمه: دُعْلُج، اقتناه بعد أن عقر المزنوق.

لعمري وما عمري عليّ بهين
لقد شان حُرَّ الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى إن كنتُ أعور عاقرا
جباناً فما عذري لدى كل محضر
وقد علموا أنني أكرّ عليهم
عشية فيف الريح كَرّ المُدَوِّر



ابن أبي حصينة وعينة من شعره!!

مما لا شك فيه أن لكل شيء عينه تمثل أجوده.. والعينة في الملموسات لا يحصل خلاف على أنها أطيب ما يكون منها.

أما المحسوسات التي لا تميز عينها إلا بالإدراك. وبجاذبية الفكر. وسلامة الذوق الحسن. وذلك كتميز الكتب بعضها عن بعض. وتعيين عيون الشعر بصفة عامة.. وعينة قصائد ديوان ما بصفة خاصة وما إلى ذلك مما ينتخب فإن ذلك يخضع لاختلاف المفاهيم. وتنوع المدارك لدى بعض الناس. إذ إن لكل شيء ما يدرك به.. ولذا يحصل خلافاً عند تعيين قصيدة من بين قصائد ديوان ما. والدليل على ذلك أننا لو عرضنا ديوان شعر على عدد من ذواقة الشعر وطلبنا إلى كل واحد أن يعين قصيدة من أجود قصائده لما حصل اتفاق من أكثرهم على تعيين قصيدة واحدة. وإنما نجد عدداً من القصائد المرشحة كعينة لأجود ما في الديوان.

أقول هذه الخاطرة. وأنا أقرأ ديوان ابن أبي حصينة واسمه: الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار السلمى المشهور بابن أبي حصينة والمتوفى سنة ٤٥٦هـ، وهو شاعر فحل. وشعره لا يوصف بحطب ليل. بل هو الرطب الجني.. فهو إن مدح بلغ السها في المديح وإن افتخر علا الجوزاء تقرأ شعره فتجد كل ما يحويه الشعر من الحلاوة والطلاوة، ومن البديع البلاغة، ومن قوة السبك وجوده الصياغة.

وحيث إنني قد عقدت العزم على عرض عينة من قصائده.. فقد

وقفت على واحدة من قصائده التي لا تكاد تُعين بعضها عن بعض .
وهي واحدة من قصائده التي يمتدح بها أبا العلوان الأمير شمال بن
الأمير علي بن مرداس السلمى . . حيث التفت عن التغزل والغزل ،
والوقوف على الدمنة والطلل ، مخالفاً بذلك الشعراء الأول في بعض
استدلالاته لقصائده التي عرض فيها بعضاً مما جلبته خاطرته إلى قريحته
من الحكم التي بلغ في صياغتها الغاية التي ينشدها . . منها قوله :

بصحة العزم يعلو كل معتزم
وما جلا غمرات الهمّ كالهمم
والعز يوجد في شيئين موطنه
إما شباة حُسام أو شبا قلم
وأعرف الناس بالدنيا أخو فطن
لا ينظر اليُسّر إلّا منظر العدم
غنى اللئيم الذي يُشفي به عَنَتُ
وفاقة الحرّ منجاة من السقم
يزداد ذو المال همّاً بالغنى وأذى
كالنبت زادت أذاه كثرة الرّهم
كن من تشاء ونل خطا تعيش به
فالخِصبُ في الوهد مثل الخِصب في الأسم
ليس الحظوظ وإن كانت مقسمة
بناظراتٍ إلى جهل ولا فهم
لا ينقص الحرّ ما يعدوه من جدة
ولا تحط كريماً قلة القسَم



المتنبي يفتخر بالكرم. وهو أبخل الأمم!!

يكاد يجزم الإنسان الذي يقرأ مدائح الشعراء بأن قائلها من أكرم الناس وأسخاهم مستنداً في ذلك إلى أنهم ما وضعوا الجواد والكريم إلا لأنه الكرم صفة من صفاتهم والجدود طبع من طباعهم، وأنهم لعلهم بفاعلية الكرم ومكانة الكريم قد أثنوا على ممدوحهم بما كانوا يمارسونه.. لكننا إذا ما مضينا في دراسة سير بعض الشعراء المداحين تكشف لنا من أمرهم ما يثبت بأنهم من أئثم الناس وأبخلهم - وأنهم قد قالوا ما لم يفعلوا - وأنهم كالذي يأمر بالتقوى وهو غير تقي.

والممغن في دراسة حياة أكثرهم يجذأ أنهم يَسْتَجِدُّون ولا يُجِدُّون، وَيَسْتَغْطِفُونَ ولا يَعْطِفُونَ، ويستطعمون، ولا يطعمون، بل إن بعضهم تكون له ردود سيئة لمن يستجديهم. وإجابة ساخرة تقطع أمل من يمد أمله في النيل من نوالهم... وإذا ما أردنا سياق أمثلة ندلل على صحة ما أسلفنا. فهذا الشاعر المشهور أبو الطيب المتنبي الذي يصف الكرم ويفاخر به وكأنه واحد من الكرماء. وذلك بقوله في إحدى قصائده:

أعط عنك تشبيهي بما وكأنه
فما أحد فوقني ولا أحد مثلي

وذرنني وإيَّاه وطِرْفِي وذابل
نكن واحداً يلقي الوري وانظرن فعلي

وقوله في إحدى قصائده:

وليفخر الفخر بإذ غدوت به
مرتدياً خيره ومنتمله

وبقوله من قصيدة أخرى:

ومن ينبغي ما أبغي من المجد والعلا
تساوت المحابي عنده والمقاتل

وبقوله منها:

تُحَقِّرُ عندي همسُ كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاوَل

وبقوله منها:

غثاءة عيشي أن تَغَثَ كرامتي
ولي بغث أن تغث المآكل

هذا قليل من كثير امتدح به المتنبي نفسه.. والذي يثبت عدم مصداقيته ما روي من أن شاعراً امتدحه فقال له المتنبي: كم أملت منا على مدحك؟ فأجابه: عشر دنانير. فقال المتنبي: والله لو ندفقت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقاً.

إنها إجابة قطعت أمل الشاعر، لكنها فتحت على المتنبي باب لوم أقل شاهد عليه قول ابن أبي فتن:

ذريني وإتلافني لمالي فإنني
أحب من الأخلاق ما هو أجمل

وإن أحق الناس باللوم شاعر
يلوم على البخل الرجال ويبخل



أحياناً يكون الاسم سبباً من أسباب المداعبة!!

لا يختلف في أن غالبية المداعبات تكون وليدة مناسبة؛ لأن الصناعة فيها قليلة جداً.. وتحقيق ذلك يظهر جلياً عندما نلقي نظرة عابرة على ما تزخر به كتب التراث الأدبي من مداعبات.. فنجد لمعظم المداعبات توطئات تدلنا على المناسبة التي سببت صنعها.

وتختلف نوعيات المداعبات الأدبية بحسب اختلاف المستوى الثقافي والاجتماعي والخلقي للمتداعبين. وهي - وأعني بذلك المداعبة - يكون لها نكهة يتعشقها القارئ إذا دارت رحاها بين شاعرين متكافئين.

والمداعبة بحد ذاتها وبشكلها العام فن يمهر في ممارسته فئة من الناس إذ لها أسلوب متميز يتطلب مقدرة كلامية تفرض ملاحظة عبارتها استساغتها. وتجعل منها عاملاً يخلق الابتسامة على شفة متلقيها، وقارئها معاً.

وصناعة المداعبة تكون في الغالب نتاج تبادل كلامي سواء كان شعراً أو نثراً بين المتداعبين. على أن ليس تبادلها بينهما شرطاً، فهي قد تأتي من جانب واحد. وذلك كأن يداعب أحدهم الآخر فلا يحصل على رد منه أما من الخوف من تعدي حدود الأدب.. أو لأنها - أي المداعبة - تأتي غير محتملة لأية إضافة.

والأسماء ربما كانت سبباً من أسباب إيجاد مداعبة موجهة لأصحابها.. فاسم الغراب أو الصقر أو الأسد أو الثعلب. أو ما إلى ذلك من الأسماء التي تهيم الجو الموافق والمجال المناسب وتفتح نافذة من المداعبة على صاحبه. من ذلك أن الأستاذ عبد الله بن حمود

العبودي زار صديقه الأستاذ ناصر الغراب في مكتبه فصادفه مشغولاً
بالمعاملات فخرج من مكتبه ببرود تلقية إياه فكتب العبودي قصيدة دعائية
منها قوله:

فرّ الغراب من الخلين إذ زارا
ماذا جرى للغراب الخل إذ طارا
عهدي به لبقاً لما تجالسه
ماذا أصاب رفيق العمر إذ سارا
هل يا ترى شد منه الريش في عجل
أم استهان بنا أم عقله حارا
أم مكرها من رفاق جاء موعدهم
لم يستطع دفعهم أم كان مكاراً
لم أعرف المكر منه في محادثة
أنعم به فاعلاً للخير أمارا
ومنها قوله:

يؤدّبُ الخل من هجر لمجلسنا
إذ قام من عندنا وازور مختارا
بذبح كبش سمين في الصباح لنا
نشوى من اللحم لما يوقد النارا
إن أثقل الكبش ظهر الشيخ نعهده
بذبح تيس وكان الله غفارا
والقصيدة أطول من ذلك وقد قرأتها منشورة في العدد ٩٩١٠ من
جريدة الرياض يوم السبت ١٦ ربيع الأول عام ١٤١٦هـ.

جانب من بعض الجانب التبعيضي عند أبي الطيب المتنبي

يأخذ الكتاب والباحثون والشعراء حينما يتناولون موضوعاً يكون للرأي الخاص فيه مجال. الحذر من قلم الناقد.. ويغلقون الباب في وجه من يحاول التصدي لما يكتبونه مما يخضع للدرس والمناقشة. وذلك يأخذ الحيلة بعدم التعميم واللجوء إلى التبعيض في أحكامهم وآرائهم التي يرون أن لقلم الناقد فيها تدخل قد يرتفع إلى مستوى الاعتراض عليهم.. وحتى لا يُستخف بآرائهم ويكذبون فيما يقولون لجأوا إلى التبعيض الذي يجدون مجالاً للمباشطة. ومخرجاً يحافظون منه على سلامة أحكامهم وصحة آرائهم.

والشعراء الحكماء لا يعممون أو يبعضون إلا عن قناعة تامة لديهم.. أما الذين يخبطون خبط عشواء في إصدار آرائهم فنجدهم عرضة للانتقاد.. وحتى لا يطول البحث في هذا الموضوع طويلاً يتطلب سياق أمثلة. أرى أن نقف على جانب من بعض تبعيضات المتنبي التي اشتملت عليها بعض قصائده ذات القافية اللامية.

فمن قصيدة امتدح بها بدر بن عمار قوله:

سفك الدماء بجوده لا بأسه

كرماً لأن الطير بعضُ عياله

وواضح أن هذا البيت قد اشتمل على صورة بلاغية ومفردة شعرية حيث جعل سفك دماء الأعداء عن جود لا عن بأس. وأن هذا الجود

قد كان إكراماً للطير التي وصفها بأنها من بعض عياله الذين يجب عليه إطعامهم. فتصور إذا كانت الطير من بعض عياله فكم يكون مجموع من يعولهم. وبعد هذا البيت يقول:

إن يُفْنِ ما يَحْوِي فقد أبقى به
ذِكْراً يزولُ الدهرُ قبل زواله

وقوله من قصيدة امتدح بها أبا العشائر:

القاطع الواصل الكميلُ فلا
بعضُ جميلٍ عن بعضه شغله

يقول: إن أبا العشائر لا يشغله بعض الجميل عن فعل جميل آخر. وإنما يقطع ويصل حسبما يريد... وبعد هذا البيت يقول:

فواهب والرماح تشجره
وطاعن والهبات متصله
وكلما أمن البلاد سرى
وكلما خيف منزل نزله

وقوله من قصيدة امتدح بها أبا شجاع فاتكاً:

وقد يلقبه المجنون حاسده
إذا اختلطن وبعض العقْل عُقال

قال الرقوقى في شرح هذا البيت: في الحرب يلقبه حاسده بالمجنون حسداً له على فرط شجاعته التي تشبه الجنون. والعقل ليس في كل وقت محموداً؛ لأنه في مثل هذه الحالة يمنع من الإقدام، فيكون لصاحبه كالعقال:

وقوله مفتخراً بنسبة ومتعالياً على من يريد انتقاصه:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البا
حِثِّ والنجل بعضُ من نجله

يقول أنا الذي بعضه - أي ولده - يفوق أبا الباحث عن نسبي،
أي أنا فوق أب الذي يبحث عن نسبي.

وقوله من قصيدة رثى بها والده سيف الدولة. وامتدحه فيها بقوله:

فإن تَفُقِ الأنام وأنت منها

فإن المسك بعض دم الغزال

يقول في هذا البيت: إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا
عجب في ذلك. فقد يفضل بعض الشيء جملته كالمسك وهو بعض دم
الغزال.

أخيراً لا أملك إلا القول بأن هذه صورة تبعية تفنن المتنبي في
صياغة عباراتها.



تداخل الأقوال في الصديق!!

والحديث عن الصديق يتشعب ويأخذ اتجاهات متعددة، منها ما يحكم بعدم وجود صديق صادق في صداقته.. ومنها ما يقرر وجوده ويعدد مناقبه، ومنها ما ينزع الثقة به ويبث مثالبه، ومنها ما يقف على حرف بين السالب والموجب فيما يقال عنه.

ومما يرتبط بهذه المداخلات قول أحدهم: «الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرصه على ترك الذكر».. ومن كان أصدقاؤه أشراراً كان هو شرهم. وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة كذلك الردي لا يصحب إلا الفجرة.

ويروى أن ابنة عبد الله بن مطيع الأسود قالت لزوجها طلحة بن عبد الله بن عوف: ما رأيت أحداً قط أأم من أصحابك. قال: مه، لا تقولي ذلك فيهم، وما رأيتم من لؤمهم؟ قالت: أمراً والله بيناً. قال: وما هو؟ قالت: إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت جانبوك. قال: ما زدت على أن وصفتيهم بمكارم الأخلاق. قالت: وما هذا من مكارم الأخلاق؟ قال: يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم.

ويروى أن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يوصي ابنه فقال: ابذل المودة الصادقة تستفد إخواناً، وتتخذ أعواناً، فإن العدووة موجودة عتيدة، والصداقة منقبضة بعيدة. جنب كرامتك اللثام فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإن نزلت بهم شدة لم يصبروا.

أما الشعراء فَقَلَّ أن يكون لهم رأي وسطي وتداخل في الحكم.
فأكثر أشعارهم التي تعد حصيلة تجارب ونتيجة اختبارات تؤكد عدم
وجود مصداقية للصدقة. من ذلك قول أبو سهل بكر بن عبد العزيز
النيلي:

رجوت دهرًا طويلًا في التماس أخ
يرعى ودادي إذا ذو خُلَّة خانا

فكم ألفت وكم آخيت غير أخ
وكم تبدلت بالإخوان إخوان

فما زكى لي على الأيام ذو ثقة
ولا رعى أحد ودي ولا صانا

فقلت للنفس لما عز مطلبها
بالله لا تألفي ما عشت إنسانا

وفيما يقرب من هذا قال بشار بن برد:

خير إخوانك المشارك في المـ
رّ وأين الشريك في المـرّ أيننا

الذي إن شهدت سرّك في الحـ
يّ وإن غبت كان أذنًا وعينا

مثل سرّ الياقوت إن مسه النا
ر- جلّاه البلاء فازداد زينا

أنت في معشر إذا غبت عنهم
بدّلوا كل ما يزيناك شينا



ابن زيدون وقناعته بالمطالبة ببقية المسواك

يقول ابن زيدون واسمه: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي المولود في قرطبة عام ٣٩٤هـ والمتوفى سنة ٤٦٣هـ في إحدى مقطوعاته البديعة الصنع والتي تفيض بالجمال اللفظي والتفنن الشعري الساحر:

أهدى إلي بقیة مسواك
لا نظهري بخلاً بعود أراك
فلعل نفسي أن ينفس ساعة
عنها بتقبيل المُقبَّل فاك
يا كوكباً باري سناه سناء
تُزهى القصور به على الأفلاك
قرت وفازت بالحظير من المنى
عين نُقلَّب لحظها فتراك

ولعلك أيها القارئ الكريم توافقني بعد قراءتك لتلك المقطوعة على أن ابن زيدون صانع شعر وصاحب قافية متمكنة للغاية، وأن شعره الغزلي يمضي إلى داخل مهجة من يتولى التشبيب به ويفعل بها ما يفعله سحر الساحر بالمسحور. كيف لا وهو يتمسح بأدب القناعة ويطلب بتلطف من محبوبته أن تهدي له بقية المسواك الذي لا مجال للبخل في إهدائه؛ لأنه لا يكلف ثمناً بقدر ما له عنده من قيمة تنفس عن نفسه المشغلة بالحب - بل المشتعلة به - وتنعش به روح تهيم في التماس أي سبب يمكن من التواصل.

وابن زيدون لم يكتف في التعبير عن القناعة ببقية المسواك في
القطعة الشعرية المتقدمة، وإنما نراه يعيد الكلام ويجدده في إبداء رغبته
في أن تهدي إليه المسواك الذي قد استعملته ولامس شفيتها. حيث
يقول متغزلاً في مقدمة قصيدة تبلغ نحواً من تسعة وثلاثين بيتاً. قيل:
إنه قالها ممتدحاً بها أبو الوليد بن جهور صاحب قرطبة:

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل في سكر الصبا عطفاك
هلاً مزجت لعاشقك سلافها
ببرود ظلمك أو بعذب لماك؟^(١)
بل ما عليك وقد محضت لك الهوى
في أن أفوز بخطوة المسواك
ناهيك ظلماً أو أضرب بي الصدى
برحاً ونال البرء عود أراك^(٢)



(١) الظلم: ماء الأسنان أو بريقها.. اللمى: سمرة في الشفة.

(٢) ناهيك: كلمة للتعجب والاستعظام، الصدى: العطش.. البرح: المشقة.

وعلى لسان صديقي قلت: في جاره!!

قال صديقي رحمه الله: كان لي جار لم أذق طعم الراحة منذ جاورني - وحينما أقول.. منذ جاورني - فلأني كنت ساكناً قبله بعدة سنوات.

.. أما أنني لم أذق طعم الراحة فلأن أولاده لا يكفون عن إزعاجي بلعبهم بالكرة داخل بيتهم أثناء راحتي وسط النهار، حيث تطيب القيلولة ولا يفترون عن اللعب بالمفرقات التي أخشى أن يشب حريقاً في بيتي بسببها. ثم هم لا يتورعون عن إيدائي بقذف بيتي لحجارة من علي سطح بيته.. ولا يحترموني حينما أمر بهم في السوق حيث أسمع منهم كلمات نابية موجهة لي.

ولما شكوت إليه حالهم وما يفعلونه بي. عمد إلى إقامة حاجز من «الزك» من فوق ظهر الجدار الذي يفصل بين منزلي ومنزله، وجعل ارتفاعه يبلغ مستوى ارتفاع الدور الثاني من بيتي. فحجب عني الأفق. ومنع عني الهواء.. وحجته في ذلك أنه سيكف بذلك - الزك - أذى أولاده.. قلت له: «الزك» لا يؤدب الأولاد ما لم تؤدبهم بيديك، ولسانك، وتزع في قلوبهم معرفة حق الجار ذلك الحق الذي أوصى به نبينا محمد ﷺ.

قلت لصديقي رحمه الله: أي جار هذا الذي يدع أولاده يمعنون في امتحان حق جاره، وينغصون عليه حياته؟! قال لي: هو ما أخبرتك به. والحقيقة أن مثل هذه المعاملة السيئة التي يتلقاها جار من جاره قد أثارت في نفسي شجوناً حركت هاجس الشعر فقلت في ذلك قصيدة طويلة. منها قولي:

هذا بناه جاري
 وليس باختياري
 الأفق لا أراه
 حجب الهوا عن داري
 فيا إلهي قوي
 في نفسي اصطباري
 رفع السياج رفعا
 أف له من جار
 «زنك» وأنابيب
 كأنها الصواري
 تعلو على بناء
 مُشيد الأدوار
 ما راعى في موصي
 أوصى بحق الجار
 ربي فلا تجعله
 يزيد في الإصرار



الأعرابي، والفأر

والهجاء ليس موقوفاً على الإنسان من الإنسان، بل هو يتعدى من الإنسان إلى غير بني جنسه فيشمل الحيوان والنبات، وكل شيء حوله.

ومثل ما أنه يهجو تلك الأشياء التي ليست من جنسه فإنه يمتدحها أيضاً وذلك وفقاً لما يصادفه منها من حالة أو من تصرف مما قد طبعت عليه من حالة لم توافق منه هوى، أو تقع من نفسه موقع الرضا، أو لم تناسب ما طبع عليه من رغبات.. فهو يمتدح جميع الأشياء التي يتعامل بها ومعها متى طابت بها نفسه، ورضى لها.. ويهجوها إذا لم يحالفه حظ باستخدامها. فكم قرأنا من مديح لقوس، وبنديقة، وسيف. وغيرها من أنواع الأسلحة وأدوات الصيد. وكم قرأنا من ذم لها لعدم إصابتها للهدف بسبب نبوها.

وأكثر ما يكون موضعاً للهجاء والمديح من غير بني الإنسان هو الحيوان كالفرس والكلب والجمال وغير ذلك. إذ هي أقرب الأشياء إليه، ومكانتها أمكن في الحياة بحياته.

والفأر يُعدُّ واحداً من الحيوانات التي يقع عليها الذم والهجاء لأن علاقته بالإنسان ما كانت في يوم من الأيام موضع مديح إلا في مجال نادرة أو فكاهاة.

ومما جرى من هجاء للفأر ما رواه أبو أحمد العسكري عن الصولي عن محمد بن سعيد الرياشي أنه قال: دخل أعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله فأقال فقال يهجو:

عجل رب الناس بالعقاب

لعمارات البيت بالخراب
كحل العيون وقُص الرقاب^(١)
محزرات أحبل الأذنان
كيف لنا أنمر الإهاب^(٢)
منهرتُ الشدق حديدُ الناب
كأنما بُرْثِنَ بالحراب
يفرسها كالأسد الوثاب



(١) الوقص: قصر العنق.

(٢) أنمر الإهاب: ذو جلد أرقط كجلد النمر.

العجيب في بعض أحاديث الشيب!!

والشكوى مما يعتري الجسم وسائر الأعضاء من ضعف بسبب التقدم في السن أمر طبيعي لدى المسنين.. ومصدق ذلك أنه إذا ما انعقد مجلس من مجالسهم، وأخذ الحديث مساراً حول الهزال وعجز الأعضاء عن تأدية مهماتها فإنك تسمع العجب العجيب، حيث يحصل تناوح بالشكاوى التي تفصح عن ذكر مواضع الألم الذي يصاحب عادة وبطبيعة الحال سن الشيخوخة. كما تسمع من بعضهم شيئاً من التركيز فيذكر تعطل وضائف بعض الأعضاء تعطلاً يظهرُونَ أثناء التعبير عنه شيئاً من الأسى.

ويكاد ينحصر حديث بعض الشيب في بعض الأحيان بين ذكريات الصبا وعنفوان القوة وأيام الشباب، وبين الواقع الذي آلوا إليه. فيحلمهم الإحباط في المقارنة بين ماضيهم وحاضرهم من حيث عجزهم عن ممارسة ما كانوا يمارسونه بكل قوة وجدارة أيام شبابهم. على إطلاق عبارات التأوه والتأسف حيث أصبح الشباب لديهم كحلم لا يتكرر في أي منام من المنامات... وممن ترجم حياته في آخر أيامه وما أصابه من نكبة في بعض أعضائه مَنْ وصفه الثعالبي برئيسي نيسابور أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي، الذي قال عنه: إنه يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهذهما في محاضراته، ويحلها في مكاتباته، وأن له شعر كتابي يشير إلى شرف قائله.

ومن شعره الذي يصلح للاستشهاد به في مجالس المسنين حينما يكون الحديث عن الشكوى من الهزال والعجز. قوله من قصيدة له:

فإنني «...» حين خان زمانني
وجفاني كأنه إخواني
وثنى عني العنان غزال
كان قبل المشيب طوع عناني
يتجنى عليّ من غير جرم
وبراني كأنه لا يراني
كيف يصبو إليّ وهو عليم
أن «...» كمطفة الصولجان؟
ليس يرجى له انتباه من النو
م ولا صبوة لذكر الغواني
كان من قبل سامعاً مستجيباً
مُسْعِداً لي فعقني وجفاني
ولوى جيده فأصبح لدناً
يتثنى تثنى الخيزراني
لا يجيب الصريخ في غسق اللد
يل ولا دعوة الوجوه الحسان



تأليف أدبي وتأليف تجاري!!!

ولا أقصد بالتأليف التجاري مؤلفاً يبحث في شؤون التجارة..
وإنما الذي أردته أن هناك مؤلفات تؤلف من أجل الكسب المادي الذي
يستل منها روح الأدب المتوفرة في الكتاب الذي اعتبره الشاعر المتنبي
خير جليس في الزمان حينما قال:

أعز مكان في الدنيا سرج سابع
وخير جليس في الزمان كتاب

إنه كتاب من الكتب التي من تأليف أدباء عصره، وما قبل عصره،
حيث يجد فيها القارئ متعة الثقافة التي عبر عنها شاعر آخر بقوله:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأحباب

والبحث في أمر الكتاب الذي يُقدَّم للقارئ مطرزاً بعنوان ينم عما
يحويه. يطول أمره ولا ينتهي وصفه.. لكنه ربما يكون مرتبطاً من حيث
مستوى ما يحويه من علم وثقافة بقارئ عصره الذي ألف فيه.. فتدني
مستوى ثقافة القارئ يعني انحسار بحر العلم الذي يغترف منه المؤلف،
لكن هاجس الرغبة في الحصول على العلم والثقافة يوجد أدباء ومثقفين
فتحصل المحافظة على التوازن بين القارئ والمؤلف.

يقول علي بن الجهم:

لو قيل لي: تملك الدنيا بأجمعها
ولا تكون أديباً تحسن الأدبا

لقلت لا أبتغي هذا بذاك ولا
أرى إلى غيره مستدعياً أربا
لجلسة مع أديب في مذاكرة
أنفي بها الهم أو أستجلب الطربا
أشهى إليّ من الدنيا وزخرفها
وملئها فضة أو مثلها ذهباً

هذه بعض أقوال وأحاسيس سلفنا تجاه مجالس الأدب، ومشافهة
الأدباء، وقراءة الكتب ومداومة مذاكرة العلماء.. أما عصرنا الذي تغير
فيه كل شيء، وأصبح عصر المادة ولا غير المادة.. فإن أجل أدبائه قد
تحولوا إلى أدباء تجاريين. فهو يؤلفون تأليفاً تجارياً وعليك أن تدرك
مفهوم التأليف التجاري، وكيف تكون مادته من حيث المستوى العلمي
والثقافي.. والناقد المنصف الذي يريد أن يقيم مقارنة بين المؤلف
القديم والمؤلف الحديث سوف لا يجد وجهاً للمقارنة بينهما من حيث
جودة ذاك، ورداءة مستوى هذا. فيعمد إلى إغماذ قلمه بعد أن يستشهد
بقول ابن بسام:

تعس الزمان لقد أتى بعجاب
ومحا رسوم الظرف والآداب
وأتى بكتّاب لو انبسطت يدي
فيهم رددتهم إلى الكُتّاب



لا تتناولوا على لغتنا العربية بالتفرنج اللغوي!!

في عصرنا هذا قلت: العناية باللغة العربية، بل عُقْتُ بسبب إدخال بعض الألفاظ والمصطلحات الأجنبية عليها. وتدنت العناية بها في كثير من الأساليب الكتابية، وكأنما نحن أو بعضنا قد رأى تقصيراً في اللغة العربية. فأخذ يدس أثناء تحدّثه بعض الألفاظ والكلمات الإنجليزية مثلاً، متظاهراً بذلك بأن اللغة العربية لا تنقل بوضوح ما يريد الإفصاح عنه لمستمعه.

وإن إنساناً هذا شأنه، أو تلك طريقته في المحادثة أو إلقاء المحاضرة لا يعد في نظر أبناء اللغة العربية إلا متجنّباً على لغة القرآن، ومتسلحاً بخنجر مسمومة قد صنعها له أعداء الأمة العربية، ليطن بها اللغة العربية في ظهرها. وما علم بأن هناك الكثير من أبناء الأمة العربية قد برعوا في فهم كثير من لغات العالم. وأنهم قد أصبحوا خطباء مصقّعين حينما يريدون التحدّث بها. لكنهم ومع مقدّرتهم الفارقة على فهم أسرار تلك اللغات يدسونها عندما يأخذون في التحدّث باللغة العربية. بل هي عندهم نسياً منسياً أثناء ذلك.

والى اللغة العربية التي تجنّى عليها أولئك الذين يحاولون أن يتجلّزوا، أو يتألّموا، أو يتفرنسوا بمجرد إدخال بعض الألفاظ الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ضمن محادثاتهم أو كتاباتهم. قالت الشاعرة المعاصرة: لمياء حمد العقيل قصيدة أبدت فيها شديد أسفها على تضييع اللغة العربية من قبل أبنائها، وأظهرت الواقع الذي تعايشه اللغة في موطنها وعلى ألسنة أهلها. من تلك القصيدة قولها:

إليك يا واحة في القلب غناء
إليك يا من لك في الكون علياء
تحية لغة القرآن خالصة
من صادق الحب تهديك السويداء
إنني لأكتب والإشفاق يدفعني
كي أندب اليوم ما أبلاه أبناء
ثم تمضي في استغرابه من ابتعاد بعضهم عنها، أو عدم الاعتناء
بها إلى أن تقول:

بالأمس يا لغتي قد كنت منعمة
واليوم بعد نعيم بالبلا جاؤوا
تلبستهم من الرحمن نقمته
لا يعتليهم من الأفراح إيماء
فهؤلاء هم الأوغاد لا سلمت
منهم عقول ليعتدوا بما باءوا
إنني لأدرك هذا الحال مقتنعاً
أن اللبيب لهذا الوضع مستاء
وبعد ذلك تظهر استنكارها وغضبها لما وصلت إليه حالة اللغة
العربية من هبوط لدى أهلها:

وإنني غاضب مستنكر وجل
أن يهجر الناس وجهاً وهو وضاء



التوفيق المليح بين وصف الشجاعة والكرم في المديح

وبعض الشعراء يملك القدرة الفائقة على حشد المفردات المناسبة للموضوع الذي يتحدث عنه بلغته الشاعرة.. وتتم له السيطرة الكاملة على قرن ضروب الشجاعة بأنواع الكرم والسخاء في البيت الواحد من الشعر أحياناً فيحصل الإبداع بأسلوب حماسي تمتزج فيه قوة اللغة مع حرارة التعبير امتزاجاً يشكل نسيجاً شعرياً يهز مشاعر القارئ بأسلوبه الذي استكملت فيه الجزالة اللفظية والبلاغة الشعرية، استكمالاً لا يحتاج معه إلى مزيد من أي صورة من الصور الفنية والجمالية.. وإنك لتقف أمام شعره وكأنك ترى بأم عينك أولئك القوم الذين استرسل في مديحهم وذكر صفاتهم في ميادين الحروب ومصادقة الأعداء.. تدفعهم حدة الشراسة وقوة الإقدام، ومضائة الشجاعة إلا ملاقة أعدائهم.. ثم ينقلك بعد تصوير فروسياتهم، وشدة بأسهم إلى فضائل أخلاقهم وسماحة طباعهم وانبساط نفوسهم بالسخاء والكرم والجود. فلا تزال تنتقل بين وصف شجاعة مفرطة، وجود مسرف في الجود.

من تلك الصور الشعرية التي لا يعوزها جودة بناء، وحلاوة عبارة وطلاوة أسلوب. هذه الصورة التي رسمها أحد الشعراء القدامى وجعلها تلهب حماساً يذكي في النفوس الشجاعة والكرم معاً:

قوم شراب سيوفهم ورماحهم
في كل معترك دم الأشراف
يتحنّون إلى لقاء عدوهم
كتحنّ الألاف للألاف

ويباشرون ظُبَى السيوف بأنفس
أمضى وأقطع من ظُبَى الأسياف
ضَرَيْتَ على سفك الدماء نفوسهم
وأكفهم ضريت على الإتلاف
وعرّوا من العار المدينس مثل ما
عَرِيت مواعدهم من الإخلاف
جعلوا الطعان محللاً لوجوههم
ومحرماً منهم على الأكتاف
فإذا هم صرموا العدو بصارم
خضبوا الأسنة من دم الأجواف
فسيوفهم تفني نفوس عداتهم
وعطاؤهم يُغني سؤال العافي
وهذه الأبيات استحسناها أبو حيان التوحيدي إن لم تكن أطربته
فأوردها في كتابه «البصائر والذخائر» ج ٢ ص ٢٧.



مع (ابن زيدون) أندلسي والشهاب الطرابلسي في نونيتيهما!!

إن اشتياق الشيخ محمود الشهاب الطرابلسي وهو أحد شعراء لبنان في القرن الثالث عشر للهجرة إلى لحن نونية ابن زيدون الأندلسي المولود عام ٣٩٤هـ والمتوفى عام ٤٦٣هـ وما تمتعت به تلك القصيدة من جمال في الأسلوب وحسن في النظم وروعة في التعبير قد أفضى به إلى معارضتها، فأنشأ قصيدة قوامها ٢٦ بيتاً ماثلاً في كثير من أبياتها من حيث الأسلوب اللفظي أبيات نونية أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي التي بلغ بها ٥٠ بيتاً كلها موقوفة على مخاطبة محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن بالملقب بالمستكفي بالله وهو أحد خلفاء الأمويين بالأندلس. المولودة عام ٣٩٤هـ والمتوفية عام ٤٨٤هـ.

والتماثل في اللفظ والقافية بين قصيدة ابن زيدون وقصيدة الشهاب يرقى إلى درجة تضمين الشهاب لكثير من عبارات ابن زيدون. يقول مثلاً في مطلع قصيدته. راسماً صورة الشكوى من التناهي الذي حل محل التداني:

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

والشهاب يقول مصوراً لا محققاً ومناقضاً لا موافقاً:

يا ما ألد اللقاء بعد الفراق ويا
ما أنعم العيش صفوفاً في تدانينا

وغص ابن زيدون بسبب دعاء المعادين له حينما رأوه في بحبوبة
الهوى، فعبر عن ذلك بقوله:

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغص فقال: الدهر آمينا

أما الطرابلسي فإن البرق الذي يلوح له من ناحيتهم يذكره بهم
فتنهمر دموعه شوقاً إليها انهماراً تغص به تراقيه:

وإن تبسم برق من جهاتكم
تغص بالدم أشواقاً تراقينا

وتلج بابن زيدون الذكرى التي كان قد عاشها في نعيم وترف، ثم
أصبحت بالنسبة له خبراً بعد عين:

ويا نعيماً فطرنا من غضارته
في وشى نعى سحبتنا ذيله حيناً

أما الطرابلسي فقد حاكى هذا محاكاة عكسية في مطلع قصيدته
وذلك بقوله:

آنستمونا وشرفتم نواحيننا
من بعد هجرانكم يوم النوى حيناً

وبالفقد استحالت ليالي ابن زيدون البيضاء إلى ليال سود:

حالت لفقدكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

وعلى العكس من ذلك تكون أيام وليالي الطرابلسي إذ يقول:

والآن قد أشرقتم أيامنا بكم
مسرةً وقد ابيضت ليالينا

وهكذا تتناوح أبيات النونيتين فيما يشبه التضمن في المعارضة.

ليل ابن زيدون

ما من شاعر من الشعراء إلّا وتجده قد خاطب الليل، وشكّاله
حاله وتذمره من طوله أو قصره.

أما بعض الشعراء فنراه قد اتخذ من الليل منبراً للبوح بما في
نفسه، وجعل من نجومه وهدوئه رفيق درب يثبه أشجانه وأحزانه ويودعه
أسراره، وكأنما هو عند عاقل يطلب إليه تخفيف معاناته.

والحقيقة أن الليل بطبيعته وواقع سكونه مجلبة للأحاسيس التي
تلهم الشعراء الذين يمتطون ظلامه إحياءات تعانق ضوء النهار الذي
يعقبه.

والشاعر الذي يربط خياله بخيوط الليل حينما يجن عليه ظلامه
تراه ينسج في بحر غرامه وعشقه من القصائد المختلفة الاتجاهات نسيجاً
يطرب القلب ببديع تعبيره وجمال أسلوبه.

وحتى نتحقق من ذلك فلا بد أن نعيش مع واحد من الشعراء
الذين كان لهم مع الليل وقفات، ولكن ابن زيدون، واسمه: أبو الوليد
أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي المولود في قرطبة عام ٣٩٤هـ
والمتوفى عام ٤٦٣هـ. الذي باحت قريحته بما يخالج نفسه مما يعد من
فصول الغزل من أشعاره فمما قاله على قافية - الكاف - بالذات من
إحدى مقطوعاته:

يا ليت مالك عندي

من الهوى لي عندك

فطال ليلك بعدي
كطول ليلي بعدك
ومن مقطوعة أخرى قوله:

يا ليل طل لا أشتهي
إلا بوصلي قصرك
لو بات عندي قمري
ما بت أرعى قمرك

وأما مقطوعة ابن زيدون التي تعشقها المغنون، فتغنوا بها وصاغوا
لها الألحان المرقصة التي أطربوا بها مستمعهم أيما إطراب، وذلك
لجمال صورتها التعبيرية فهي قوله:

ودع الصبر محباً أودعك
ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن
زاد في تلك الخطا إذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسناً
حفظ الله زماناً أطلعك
إن يطل بعدك ليلي فلكم
بتُّ أشكو قصر الليل معك

○ ○ ○ ○ ○

سنة: الطبعة!!

في عام ١٢٢٥ هجرية هاج بحر الخليج العربي، وبلغ ارتفاع أمواجه المتلاطمة المربعة حداً لم يشهد له مثيل. وقد هلك أكثر من كان في البحر من الناس آنذاك حيث تحطمت السفن الشراعية وغير الشراعية، وأغرقها الموج، فلم ينجو من ركابها إلا النزر اليسير. واستمر في هيجانه ثلاثة أيام بلياليها.

والعامة من الناس يسمون تلك السنة التي وقعت فيها تلك الكارثة التي لم يذكر لها مثيل بـ«سنة الطبعة» بل إن بعضهم قد صار يؤرخ بها. والطبعة فيما يبدو لي أنها مأخوذة أو مستعارة من الطبع، والطبع في لسان العرب لابن منظور: هو ملؤك السقاء حتى لا مزيد فيه من شدة ملئه... وَطَبَعَ الإِنَاءَ والسَّقاءَ يَطْبَعُهُ طَبْعاً، وَطَبَعُهُ تَطْبِيعاً فَتَطْبَعُ: مَلَأَهُ. وَطَبَعُهُ: مَلَأَهُ. وَالطَّبْعُ بالكسر: النهر وجمعه أطباع، وتطبع النهر بالماء: فاض به من جوانبه وتدفق.

وبعض الشعراء العاميين الذين واكب إحساسهم ما مُنى به المصابون بتلك الكارثة قد ترجموا مشاعرهم وأفرغوها في قصائد وصفية أسهبوا في تصوير حاله الذين كانوا يتعاملون مع البحر كصيادي الأسماك والغواصين والمسافرين وغيرهم من التجار الذين ينقلون بضائعهم عن طريق البحار.

ولقد عثرت على قصيدة فصيحة: تناول شاعرها وهو الشيخ عبد الله بن عثمان بن جامع نزيل البصرة وأحد الناجين من تلك - الطبعة - الموضوع قصيدة له.. فبعد وصف لبدء رحلته البحرية التي كان هدفها

طلب الرزق، وكيفية استقلاله الفلك خلص إلى القول:

فلما علوت اليم في الفلك وارتمت
تسير بنا في لجة كالغياهب
أحاطت بنا الأمواج من كل وجهة
وكشرت عن أنياب أسود سالب
وأقبل ريح صرصر ثم قاصف
ترى البرق في أرجائه كالقواضب
فلما رأينا ما رأينا تطايرت
قلوب لنا نحو المليك المراقب
نعج إلى المولى بأنجا نفوسنا
ونسأله كشف الملم الموائب
فلم يك إلا كالنفوق إذا بنا
ومركبنا مثل النجوم الغوارب
فأمسكت لوحاً طافياً فركبته
وصحبي صرعى بين طاف وراسب
أقمت ثلاثاً مع ثلاث بلجة
تسير بي الأمواج في كل جانب

وهذه الأبيات هي جزء من قصيدة الشاعر المذكور، وقد تضمنها كتاب «حديقة الأفراح» لأحمد الشرواني.



الجندي يصف اللاعب بالقط والكرة بالجرذي!!

والشاعر علي الجندي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ كان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد تمكن من أخذ مكانته في عالم الشعر بحسن سبكه وجزالة لفظه، وقوة عبارته.

ولا أريد هنا استعراض ما لشاعريته من مكانة بقدر ما أريده من وقفة على قصيدة له عنوانها «الكرة» والتي منها قوله:

كل لها مترقب متربص

كالقطة يرصد سانح الجرذان

ولا أدري كيف إن الشاعر علي الجندي اختار هذا التشبيه للاعب الكرة أهو أراد بذلك الدخول به من باب المداعبة؟! أم أنه لم يجد ما يشبه به اللاعب المتوثب لتلقي الكرة غير هذا التشبيه.

وواقع حال الجندي كشاعر مقتدر يكون له المفر عن هذا التشبيه، وذلك كأن يقول: «كالدُّب يرصد سارح الحملان» لصح له التشبيه، وارتفع بالمشبه عن المشبه به من حيث المستوى الطبيعي المتمثل في مطاردة الفئران.

والحقيقة أن هذا البيت قد جاء شاذاً في مستواه الأدبي عن بقية أبيات القصيدة لكن لعله وكما أسلفت أراد به المداعبة، وإلا ليس بينه وبين ما قبله وما بعده من مقارنة من حيث المستوى الأدبي في الصياغة الوصفية والتشبيهية أسمعته وهو يصف المتغالبين على قذف الكرة:

كل يغالب قرنه فكأنما

أسدان في الهيجاء يصطرعان

إن الفرق شاسع جداً في اختيار ذكر المشبه به في هذا البيت وما جاء في البيت الآنف الذكر. أما القصيدة فهي في مجملها وصف لحركة اللاعبين في ميدان اللعب، وإشارة إلى أن لعب الكرة يقوي الجسم وينشطه، وذلك بقوله:

يتنازعون الفوز فيما بينهم
وقلوبهم خلو من الأضغان
يا حبذا تلك الملاعب إنها
للمرب تنبت نخبة الفتيان
كم من رجال أخرجتهم للورى
عمروا الحياة بقوة الأبدان
ربوا الجسوم على الكفاح فإنما
أس السعادة بسطة الجسمان
إن صحت الأجسام اطلعت النهى
ثمر المعارف يانعاً للجاني
وقد نظر إلى الحكمة التي تقول: «العقل السليم في الجسم
السليم» فقال:
ما العقل إلا في السليم فمن يكن
ذا علة لم يحظ بالعرفان



الشاعر وقدره.. قبل زواجه وبعده!!

من النساء من لا تكون ذات فأل حسن لزوجها، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن سعد بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا هامة ولا عدوى ولا طيرة، وإن تكون الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار» وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشؤم في الدار والمرأة والفرس».

والذين كانت زوجاتهم شؤماً عليهم، ولم يكن من النواصي المباركة، نراهم يجهدون أنفسهم في التعبير عن خيبة آمالهم وانتكاس فآلهم.. والعامة من الناس لهم نفثات شعرية ونثرية في هذا المجال، منها أن أحدهم تزوج فسأت حاله بعد زواجه وتراكت عليه الديون والمشكلات، فطلق زوجته، وناجى قدره وهو في مطبخه:

حَيِّ قَدِيرِي وَأَعْمَرُهُ

حَيِّهِ يَا بَعْدَ الْمَرَّةِ

ومنها أن أحدهم تزوج فتحولت حاله من غنى كان يعيش فيه إلى فقر مدقع ومعاناة دهر موجه. فقال في يوم كان هو وامرأته يغرفان من القدر ويأكلان: ما أسعدنا يوم كنا اثنين. قالت له زوجته: وما نحن الآن إلا اثنان، فهل معنا ثلاث؟ قال: السعادة يوم كان القدر هو الثاني لي، أم اليوم فنحن ثلاثة. أنت وأنا والقدر ثالثا.

ومنها أن أحدهم تناولت عليه زوجته برفع الصوت وسلطة اللسان، فركب ذلوله ومضى مسافراً، وفي طريقه ورد ماء فشرب منه ثم

تولى إلى الظل ليستريح. وفي تلك الأثناء جاء رجل مشتاقاً لرويته
ذلوله، فلما اقترب منها رغت رغاء شديداً وكان من عاداتها أنه إذا
اقترب منها أحد أخذت في الرغاء، وهذا يُعدُّ عيباً شديداً في الناقة
الذلول. فقال ذلك الرجل:

رَغَايَةَ الْأَنْضَا وَدَعَايَةَ النِّسَاءِ

ترى أوبرك الأياك يوم يزِيلها

ولما سمع صاحبها هذا البيت قفل راجعاً إلى بلده، ولما وصل
طلق زوجته وباع ذلوله عملاً بما سمعه، فما لبث أن تزوج امرأة جميلة
ودوداً، وابتاع ناقة كريمة.

وتزوج السيد عباس بن علي الموسوي صاحب كتاب «نزهة
الجليس» فآلت حالته إلى بؤس ومعاناة فقر فكتب رسالة شعرية إلى
الشيخ عمر بن حسن المدعون يشكو فيها حاله بعد زواجه استهلها
بقوله:

بلغ سراج الدولة القاموسا

لا زال بالخير لنا قابوسا

وقل له: إن المحبّ قد غدا

في اليوم هذا يتشكى البؤسا

من جور هذا الخائن الدهر الذي

لم يبق لي يا صاحبي ناموسا

وكيف لا أشكو من الدهر وذا

كيسي حكى فؤاد أم موسى

قد كنت فرداً آمناً منعماً

ومن معاناة النساء محروسا

لما تزوجت رأيت الهم قد
أتى لنا مبرطماً عبوساً
وصارماً بيني وبين راحتي
حرب حكى صفين والبسوسا
جزاء من يبغي الزواج يا فتى
أن يحلقوا لحيته بالموسى
والقصيدة طويلة: وقد ذكرها صاحب كتاب «حديقة الأفراح لإزاحة
الأتراح». أحمد بن محمد الشرواني.



الصديق الصدوق أعز مفقود وأغلى مطلوب!!

وطالب الصديق الصدوق قل أن يظفر به، وإن وجده فإنه في حالة فقدته يعد أعز مفقود.. وعلى هذا فإن شروط الصداقة يندر وجود المتكيف معها والعامل بمقتضياتها.

وواقع حال الصداقة يترجم لنا أن مد يد الصداقة وتلقيها بحرارة لا يعني أن ذلك عربوناً لصداقة ستنعقد انعقاداً وثيقاً، وستقوم قياماً صادقاً بين المتصافحين والسبب في ذلك يعود إلى أن وراء كل يد تلقت الأخرى قلب يتقلب. وأن تثبيت ما كان يتقلب يحتاج إلى تقعيد وترسية، إذ إن الكلام الذي يلفظه اللسان أثناء المصافحة ليس دليلاً قاطعاً، ولا مترجماً حقيقياً لصدق الرغبة في توطيد صداقة صادقة تبعد بمفهومها عن المنفعة التي تحمل بعضهم على أن يكون صديقاً صورياً لمن له إليه حاجة ذات منفعة.. والذي له خبرة بهذه الحركات التمويهية يكاد يجزم بأنه سوف لا يحصل على واحد في الألف ممن يمدون يد الصداقة، ويبالغون في وصف رغبتهم إليها.

ولو غالط أحد نفسه بوجود صديق يصدق في صداقته وراح يبحث عنه فلربما نفذ عمره وهو ما زال في البحث عنه.

وفيما يتعلق بصفة البحث عن الصديق يقول أبو المظفر البلخي:

قال الحيكَم الفارس—

ي بزر جمهر ثم مَرْدَك

لا ترضين من الصديق—

ق بكيف أنت ومرحباً بك

حتى تجرب ما لـ
ه حاجة إما بدت لك
فإن وجدت فعـ
كمقاله فيه تمسك

أما بشار بن برد فيعتب على صديقه الذي وصفه بالتذبذب أو قل بالتلون، ويؤكد أن استدامة الصداقة شيء غير ممكن، وذلك في مقطوعة له تضمنها ديوانه بهذا النص:

أراك اليوم لي وغداً لغيري
وبعد غدٍ لذي قُربٍ إليك
إذا آخيت ذا فارقت هذا
كأن فراقه حتماً عليك
فأقدمهم أخسهم جميعاً
وأحدثهم أحبهم إليك
وكُلهم وإن طرمت فيهم
ستتركه وشيكاً من يد يكا



ذكرى الماضي المعنبر بسداجة الطفولة وبراءتها!!

وإذا ما بلغت الأعمار حد الإدراك بكل مفاهيمه المرتبطة بخدمة النفس ووقايتها.. واكتملت صورة الحسن بمعانيه المحسوسة والملموسة.. واستتم الجمال النفسي الذي يدرك بالقلب والأذن والعين معاً.. وأيقظ العشق بجميع معانيه وأساليبه وصفاته حساً في قلوب كانت نائمة في سني الطفولة. رجعت الذكرى بكل من كانا متعاشين في صغرهما، وذهبت بهما الأمانى مذهبها، وحرك الوجد في نفسيهما ما كان ساكناً.. وأصبح التناوح على البعد بديلاً عما كانت عليه المشافهة على القرب.. ولم يعد كل منهما يملك زمام الأمر إلا بقوله: «أيام كنا، وكنا...».

وإذا ما انقطع الأمل في اللقاء، وبات من المستحيل الالتقاء، وكان الطرف الأكثر تولهاً واشتياقاً من الشعراء، فإن الإبداع في القول يجد إلى مخيلته سبيلاً فيث ما في نفسه من ذكريات في قصائد تذوب كلماتها الغزلية رقة ووجداً وتلتهب عباراتها شوقاً وحنيناً وتولهاً.. خاصة إذا كان هناك ماضٍ معنبر بسداجة الطفولة ومفعم ببراءتها.

والتعبير الشعري عن الماضي وما فيه من جميل الذكريات، يكون له حلاوة وطلاوة خاصة إذا موسق أنغام ذكراه شاعر يتميز شعره بالرقة والعذوبة كالشاعر محمد عبد الله الشبراوي المصري، الذي أخذ في إحدى قصائده يذكر محبوباً له يوم كان في ملاعب الطفولة وأيام الصبا يتناغى وإياه، منها قوله:

واحفظ قديم العهد إذ
شملي وشمك في التئام

أيام تأتيني وأنـ
ت قريب عهد بالفطام
أيام تأتيني وتكنـ
سب الفضائل باهتمام
أيام سعدي مقبل
وكمال حظي في انتظام
أيام لا لوماً أخا
ف ولا عتاب ولا احتشام
أيام ترفل في شبا
بك لا قناع ولا لثام
وعليك من حلل المها
بة حلة البدر التمام
لهفي على ذاك الزما
ن وصفوه لو كان دام
والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٢٩ بيتاً وقد ضمها كتاب «حديقة
الأفراح لإزاحة الأتراح» لأحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني.



فعل الفقر والغنى بصاحبيهما!!

إن إجراء معادلة بين الفقر والغنى وصاحب كل منهما تحقق واقعاً تترجمه الحياة وترسمه يد الأيام في لوحة تدعو إلى التأمل فيما بين حياتهما من بعد شاسع وفرق لا يخضع في كثير من المواقف للقياس.

والناس بطبيعتهم يمثلون أداة لأي معادلة تُجرى بين الغني والفقير. فهم ينظرون للغني بعين التقدير، ويظهرون له ما يستطيعون على اصطناعه من مظاهر الحب والتقدير.

.. أما الفقير فعليه من أعين الناس ونظراتهم إليه دليل يحمل كل الازدراء، بل يترجم بصادق الإشارة والعبارة، احتقاره والتنقيص من قيمته. ومن اعتباره بالتلميح حيناً وبالتصريح أحياناً.

.. وقد تختلف نظرة الشعوب بصفة عامة إلى الفقير إذ إنه منها ما يستمد العطف عليه والترفق به، ومَد يد المساعدة إليه وفقاً لتعاليم دينها وعقيدتها. وذلك كالشعوب الإسلامية التي يحثها الإسلام على التكافل فيما بينها.

ومنها ما ينظر إلى الفقير بعين الإنسانية فقط فيبادر من باب ذلك إلى معاونة الفقير وإسعاده.

.. ومنها ما يظهر احتقاره وينظر إليه نظره إلى الكلب.

ووفقاً لواقع هذا التباين، يختلف الناس في النظر إلى موقع الإنسان من الحياة وبين ظهرائي مجتمعه بحسب غناه وفقره، لا بحسب دينه وعلمه وأدبه وحسبه، خاصة في عصرنا هذا الذي أصبحت المادة

في أعين الناس هي كل شيء. فصارت قيمة الشخص مرهونة بمستواه المادي، ولا شيء غيره.

ولقد نقل الشاعر: مامية ابن أحمد الرومي هذه الصورة، بل هذه الظاهرة التي تشاهدها في قصيدة أخذ مكانها في سجل أمثال الحكمة. منها قوله:

لقد قلّني بالفقر خلي وصاحبي
وإن جئت أشكو ما أقاسيه صاح بي
كل فتى قاسى من الدهر فاقة
يصير غريباً وهو بين الأقارب
وكل غريب وهو ينسب للغنى
تعود له كالأهل كل الأجانب
فما المال إلا في الملا زينة الفتى
وما الفقر إلا من أمر المصائب
وما العكس للإنسان إلا مشقة
وما السعد إلا من أجل المواهب
وكم عالم في الناس يحتاج درهماً
وكم جاهل قد جاز جاه المناصب
وكم سيد قد حط بالفقر قدره
وكم من دنّي ساد فوق المراتب
ولو أن للآداب حظاً وقسمة
لزاحمت أرباب العلى بالمناكب
أخيراً تبقى الإشارة إلى أن هذه الأبيات قد حواها كتاب «حديقة الأفراح» لأحمد الشرواني.

العشق تختلف فعاليتته والبوح به من شخص إلى آخر!!

والحديث عن العشق والعشاق، قد زخرت به دواوين الشعر وكتب التراث، إذ أن العشق ليس بجديد على بني الإنسان، فهو قديم، ومتصل في قدمه بابني آدم عليه السلام - قابيل، وهابيل -.

والعشق إحساس تحركه في النفس دوافع يعود سببها إلى ما يمتلكه المعشوق من جاذبية يرتبط بها كل من تنجذب إليها نفسه، فيأخذ في مكابدة معاناته ويكتوى بنار عذابه من لحظة الإحساس به.

وتقدير درجة حرارة العشق تختلف من شخص عاشق إلى آخر. وقد يكون اختلاف درجة حرارتها خاضعاً لحالة المعشوقة، ولهذا فإن العشق بصفة عامة يخالج النفس ويغزو القلب غزواً يوصف صاحبه بالعاشق الهائم.

ولأن الناس ليسوا على درجة واحدة من التحمل، ومن التفكير، ومن الإرادة، ومن التعامل مع مؤثرات العشق. فإن هناك فئات متباينة من حيث كيفية التعامل مع العشق، قد لا يصعب تصنيفها على ذوي النباهة والملاحظة.

أما أساليب التعبير عن العشق فتخضع إما لمدى تأثير العشق على نفس العاشق، أو للمقدرة الكلامية على نقل تأثيره خارج النفس بلسان ناثر أو شاعر.

ولهذا تقوم فروق واضحة بين شعراء الغزل.. والحكم على أقوال كل شاعر لا يأتي موافقاً لحالته تماماً إذ إن منهم من يصطحب الخيال، ويمضي مع التخيل، وهو أبعد ما يكون بحاله وواقعه مما يتخيله ويُعْمَلُ

فيه لسان شعره.. ومن العشاق من له منهج متميز في التعبير عن
العشق، إذ يرى أنه الأنموذج الوحيد في عالم العشق، وأنه ليس كمثله
عاشق من الناس.

وممن يزعم أنه الوحيد في عشقه الشاعر شهاب الدين الموسوي
الحويزي، إذ يقول في إحدى قصائده الغزلية التي أبدع في التعبير فيها
أيما إبداع:

أما والهوى لولا الجفون السواحر
لما علقت في الحب منا الخواطر
ولولا العيون الناعسات لما رعت
نجوم الدجى منا العيون السواهر
وإنا أناس دين ذي العشق عندنا
إذ لم يمت فيه قضى وهو كافر
ولم يرضنا في الحب شق جيوينا
إذ نحن لم تنشق منا المرائر
نعد العذارى من دواهي زماننا
وأقتلها أحداقها والمحاجر
ونشكو إليها دائرات صروفه
وأعظمها أطواقها والأساور
لنا قدرة في دفع كل ملمة
تلم بنا إلا النوى والتهاجر
وليس لنا لدغ الأفاعي بضائر
إذ لم نظافرنا عليها الضفائر



أسد بيشة، ورحى المعيشة!!

ينظر بعض الشعراء حينما يشرع في بناء بعض قصائده إلى أقوال بعضهم. فتأتي قصائده متصفة من الناحية الفنية بما يعرف بفن المعارضة الشعرية.

والحقيقة أن مثل هذه الصور التي تأتي متناظرة ومتقابلة تعطي المجال في القول بأنه لا يكاد يحصل اختلاف بين الناظر والمنظور إليه في بعض الحالات.. حتى إن الدارس ليشك في أن الأخير قد سرق أو بلهجة أخف قد أخذ ممن سبقه، وهو المنظور إليه. حيث يكون تطابق تام في السياق والمعنى، وفي القافية والعبارة.

والذي يقرأ دواوين الشعر وكتب التراث ويرصد مثل هذه الأمور يتكشف له الكثير من تلك الصور.. وبعض النقاد يرد ذلك إلى توارد الخواطر، وتوافق الأسلوب، وتناسب الذوق في اختيار العبارة وتشابه اللسان في التعبير. ويتعد بالصورة عن مجال المعارضة، أو الاقتباس، أو السرقة.

أما بعضهم - والمعنى بذلك النقاد - فيجعل المتأخر سارقاً والمتقدم مسروقاً. وإن أراد تخفيف الحكم، وصف المتأخر بالمعارض.

ولقد عثر على الكثير من تلك الصور، والتي أكتفي منها بذكر بعض مما قاله الحريري من شعر في إحدى مقاماته وسائره من اللفظ والتعبير بصورة مضادة للمعنى. الشاعر محمد المجتهد الشامي.

فالحريري يقول في مقامته المعنونة بـ«المقامة الحرامية»:

عش بالخداع فأنت في
دهر بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتـ
ى تستدير رحي المعيشه
وصد النُّسور فإن تعد
ر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فإن تُقُتـ
ك فَرَضْ نفسك بالحشيشه

أما الشاعر محمد المجتهد فيقول:

كيف الخداع ودهرنا
أبناه صاروا أسد بيشه
وقناة مكسري لا تدو
ر فتستدير رحي المعيشه
والطير في أفق السما
ء فكيف أبلغ منه ريشه
ورياض آمالي جفا
ها الخصب حتى لا حشيشه

ويتضح لك أيها القارئ العزيز أن الشاعر المجتهد قد اجتهد
فأصاب هدف المضادة.

الشبراوي يتلهف ثم يتعطف!!!

يتأرجح بعض شعراء الغزل في أقواله في كثير من الأحيان، فلا يكاد يثبت على قاعدة معينة أو على خط مستقيم يجعل من التشبيب أداة تقطعه أو مطية تجتازه..

فتراه يصير على طمعه في تحقيق مآربه ونيل مطلبه ممن أخذ في التغزل به.. ويظهر خضوعاً وتذلاً يكون فيه أشبه ما يكون بالسائل الفقير أمام الغني المتكبر. حيث قد استقر في ذهنه أنه لن يحصل على شيء مما أراده إلا الإلحاف في السؤال المزخرف بأساليب المديح.

وهذا النوع من الشعراء كصاحب الصنعة الذي يلح في طلب قيمة ما صنعه.

ومن الشعراء نوع يعرض مسألته بنفس تأبى أن تذلل لشهوة كلامية. فتراه يجهد في الوصف ويهذب أساليب تغزله، فيصور الجمال في أبلغ صورة وبأرق ألفاظه، ونفسه خالية من مقومات التلهف الحقيقي الذي تكون ثمرة صدقه عند غيره ناراً تتأجج في الصدور وتحرق القلب، وتسلب الجسم صحته حتى تتركه نحيلاً تتناهب أحشاءه الأوهام، والتصورات التي ترد إليه حينما يتكئ على الخيال ويمد بصره فلا يرى إلا السراب في الآل.

لكن من الشعراء من يجمع بين هذا وذاك، فتراه يظهر في القصيدة الواحدة التلهف ويجتهد في شرح أسباب التوله. ثم ينعطف بالكلام ما كان يزخرفه من أوصاف وتشبهات غزلية إلى إظهار التعطف وسلامة القصد والنية.

ولعل من أمهر من أخذ بالجمع بين هذين الأسلوبين الشاعر
عبد الله بن محمد الشبراوي المصري. حيث أظهر تلهفه وتعففه في
إحدى قصائده، وذلك بقوله:

إن لي حاجة إليك فحققي
حسن ظني فإنها منك سهله
قبلة أجتني بها ورد خديـ
ك وأشفي بها الفؤاد الموله
جد بها كلما أراك وإلا
أكتفي منك كل شهر بقبله
واتخذها عندي يداً وجميلاً
سيما إن سمحت من غير مهله
واغتنم يا مليح أجري فإني
صرت بين الورى بحبك مثله
وبقوله في تعففه في نفس القصيدة:

أنا أهواك يا مليح ولكن
يعلم الله أنه لا لعله
أنا عف الضمير تأنف نفسي
في الهوى كل خصلة تغضب الله
سل ولالة الغرام عني وعن عفـ
ة نفسي فتلك في جبله



قصيدة من قصيدتين!!

أوحى طبيعة الربيع ونشر عطر أزهار نباتاته إلى الشاعر الأديب علي بن محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسيني الصنعاني المولود سنة ١٢٦٣هـ والمتوفى بصنعاء سنة ١٣١٦هـ فنظم أبياتاً وصفية جميلة حينما رأى الزهر والخضرة. وهو في نزهة في بئر العزب المعروف بصنعاء مع صديقه القاضي محمد بن عبد الملك بن حسين الأنسي الصنعاني المولود عام ١٢٧٣هـ بصنعاء والمتوفى بصنعاء سنة ١٣١٦هـ.

من تلك الأبيات قوله:

جلى فصلى الربيع الأرض نوراً
من الأزهار يزرى بالشموس
ترى الغصن الرطيب وقد تثنى
بأنواع الملابس كالعروس
وقد شك العصائب من درار
منضدة على خضر اللبوس
به الأطيار قد طربت وغنت
بأحسن ما يلذ على النفوس

وبعد مدة خرج وصديقه القاضي محمد بن عبد الملك الأنس إلى تلك النزهة وذلك في فصل الربيع حيث خالط الزهر فيها الخضرة،

وتمازجت ألوان الأزهار فتداخل أحمرها مع أبيضها، فأوحت له بأبيات وصفية جعلها تتخلل أبيات صديقه علي بن محسن لتكون معها قصيدة واحدة، متسقة، ومتوازنة في الأسلوب والبناء والمعنى فكانت على النحو التالي. وقد أشير إلى أبيات على المتقدمة بعلامة «ع» وإلى أبيات القاضي محمد بعلامة «م»:

ع - جلى فصل الربيع الأرض نوراً

من الأزهار يزرى بالشموس

م - ففكر في رياض الزهر وانظر

إلى صنع المهيمن في الغروس

ع - ترى الغصن الرطيب وقد تشنى

بأنواع الملابس كالعروس

م - وتوج رأسه زهواً بماس

ولبس التاج من شأن الرؤوس

ع - وقد شك العصائب من درار

منضدة على خضر اللبوس

م - وفصلها بمهرام ومرجا

ن زهر بين هاتيك السلوس

ع - به الأطيّار قد طربت وغنت

بأحسن ما يلذ على النفوس

م - ومن أرجائه قد فاح عطر

لديه كل ذي عرف تنوسي

ولولا أن هناك توثيقاً جاء في كتاب «أئمة اليمن» بأنها للشاعرين

الآنفي الذكر لما كان هناك أدنى شك بأن شاعرها واحد.

الشلْشلة. والسلسلة. والبلبله. والقلقلة في الشعر!!

والمنطلق الذي يمكن أن ندخل منه إلى هذا الموضوع هو قراءة أبيات من قصيدة للمتنبّي قوامها ١٤ بيتاً بالغ في امتداح نفسه بها. وهي من القصائد التي قيل: إنه قالها في صباه، وقد استهلها بقوله:

قفا تريبا ودّقي فهاتا المخايل
ولا تخشيا خُلفاً لما أنا قائل
رمانِي خُساس الناس من صائب أسته
وآخرَ قطن من يديه الجنادل

ومنها قوله:

تُحَقِّرُ عندي همّتي كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاوّل
وما زلت طوداً لا تزولُ مناكبي
إلى أن بدتُ للضيم فيّ زلازل
فقلّلتُ بالهم الذي قلقل الحشا
قلّقل عيسى كلهن قلاقل

وهذا البيت الأخير هو بيت القصيد كما يقولون. وهو الذي وقف عنده النقاد وقفات طويلة قتله فيها بالدرس والتحقيق، وذلك بسبب ما فيه من القلقلات. واختلفوا فيما بينهم من حيث تصويب المتنبّي وتخطئته في نظمه لتلك القافات.. قال الصاحب بن عباد وقد عاب المتنبّي بهذا البيت: ما له قلقل الله أحشاه وهذه القافات الباردة.. أما

الواحدي فقد قال: لا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله
أي أنه قد سبقه إلى ما يشبه ذلك شعراء قدامى ولم يعب عليهم.

أما الثعالبي فقد روى أن أبا نصر المرزباني قال له: ثلاثة من
رؤساء الشعراء: شلشل أحدهم وسلسل الثاني. وقلقل الثالث.. أما
الذي شلشل فالأعشى وهو من شعراء الجاهلية حيث قال:

وقد غدوت إلى الحانوت يتتبعني

شاو مشل شلول شلشل شول

والشاوي: الذي شوى. والمشل: المطرد. والشلول: الخفيف،
والشلش: الخفيف القليل وكذلك الشول. قال: والألفاظ متقاربة أريد
بذكرها والجمع بينها: المبالغة..

أما الذي سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول:

سَلْتُ وَسَلْتُ ثُمَّ سَلْ سَلِيلَهَا

فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

وأما الذي قلقل فهو المتنبي الذي يقول: البيت - قال الثعالبي ثم
قال لي فبلبل أنت أيضاً فقلت: أخشى أن أكون رابع الشعراء الذي
يستحق الصفح.

قال الثعالبي: ثم قلت بعد حين من الدهر:

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها

فأنف البلابل باحتساء بلابل

قال الثعالبي: وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب
المتنبي.

قلت: ولو لم تكن هذه الشلشلات، والسلسلات والبلبلات
والقلقلات موضع اهتمام لما دار حولها هذا الكلام.

الحيرة بين السماع والرؤية!!

من المسلم به أنه لا خلاف على أن العين تعشق، وأن الأذن تعشق أيضاً.. لكن الخلاف في أيهما يكون أشد تأثيراً على قلب العاشق بالذات. إذ إن بعض وجهات النظر تقرر بأن الأذن تنقل إلى القلب صورة صاحب الصوت فتتمثل في أجمل هيئة يتصورها غير المبصر، فيوحي قلبه بهذا الواقع إلى لسانه فيجد في البوح بالتغزل بما سمعته أذنه.. أما العين فلا تكذب صاحبها لأنها بطبيعتها وبما لها من خصوصية متميزة تربطها بسائر أعضاء الجسم فضلاً عن القلب الذي يعشق ما تراه العين، ويؤسس قاعدة عشقية تركز على حقيقة مرئية ليس للتصور فيها مجال، ولا للتخمين فيها مسلك.

والواقع في الحيرة بين ما تسمعه الأذن وتراه العين ليس بمستبعد لدى كثير من الناس المبصرين. أما بالنسبة للعمي فإنه ليس من وسيلة تمثل النافذة التي يتسرب منها العشق إلى قلوبهم سوى الأذن.

ومن الناس من تكون أذنه وعينه سواء بالنسبة لدواعي عشقه.. وهذا كثيراً ما يقع في حيرة من أمر عشقه بين الرؤية والسماع.

ومن أولئك الذين تساوت لديهم شفافية الرؤية، ورهافة السمع أبو المظفر الهندي الذي تحدث عن ذلك في مقامته العشرين، وترجمه شعراً بقوله:

رأيت ظبياً، وظبياً قد سمعت به

كلاهما كقضيبي البان والأسل

الشمس تعجز عن إدراك حسنهما

والبدر قد أدركته حمرة الخجل

حاز اللطافة من فرع إلى قدم
هذا وذاك كهذا يا أخا النبل
فصرت في حيرة مما أكابده
أصبو لأيهما يا قلة الحيل
فأنشدتني لسان الحال ناصحة
بيتاً بديعاً له التقديم في المثل
«خذ ما رأيت ودع شيئاً سمت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل»

والبيت الذي ضمنه المظفر متمثلاً به، هو لشاعر الحكمة - المتنبي -
خذ ما رأيت... إلخ وهو من قصيدة امتدح بها سيف الدولة في شعبان
سنة ٣٤١هـ وضمنها اعتذاره بقوله عندما سأله سيف الدولة عن حاله:
رأيت الموت عندك أحب إليّ من الحياة عند غيرك. فقال له: بل
يطيل الله عمرك. وأجزل له العطاء ومن أبيات تلك القصيدة قوله:

وما صباية مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل
وبعد هذا البيت بيت واحد يقول:
والهجر أقتل لي مما أراقبه
أنا الغريق فما خوفي من البلبل



ما هو السر في تشابه مرض العيون

في بعض البلدان المتباعدة!!؟

والإجابة على السؤال المتمثل في العنوان الآنف الذكر، تأتي ضمن بعض التقارير الطبية في غالب الأحيان، لأن الطبيب إذا كان متنقلاً بين بلدين يتشابه سكانهما بصفة عامة، أو أمراض عيونهم بصفة خاصة هو الذي يلقي بظلال الإجابة على هذا السؤال الذي كان الباعث على صياغته ما صرح به رئيس قسم الجلوكوما بمستشفى الملك خالد للعيون بالرياض الدكتور: ديفد ديوك. . بأن العديد من أمراض العيون في المملكة مألوفة لي، وذلك من واقع عملي في الولايات المتحدة الأمريكية. فعلى سبيل المثال: فإن السائد الماء الأبيض؛ يعتبر من الأمراض الشائعة في الولايات المتحدة، وهو أيضاً إحدى المشكلات المرضية الموجودة بالمملكة العربية السعودية. ثم إن أمراض السكر التي تؤثر على العين، هي أيضاً من الأمراض الشائعة في الولايات المتحدة، وأوروبا. كما أنها شائعة هنا في المملكة العربية السعودية. وهناك بعض الأمراض الأكثر شيوعاً هنا منها في الولايات المتحدة الأمريكية وتلك تتضمن الأمراض التي تؤثر على الأطفال مثل، الجلوكوما الخلقية، وأورام الجذيعات الشبكية، وكلاهما أكثر شيوعاً مما صادفته من خلال خبرتي العلمية بالولايات المتحدة الأمريكية. وتبدو بعض الأمراض الشائعة هنا في المملكة راجعة لتعرض الأفراد للعوامل المهيجة للعين، والجفاف وأشعة الشمس الشديدة. إضافة إلى ذلك فهناك نوع من الضمور في أنسجة القرنية، ويبدو أن تلك مشكلة أكثر شيوعاً هنا، وتلك نتيجة لهذه العوامل.

ولعلنا نلاحظ من هذا التصريح بأن هناك تشابهاً بيئياً يحدد مرض العيون ونوعيته بحسب جغرافية مناخية تصاحبها حالة معيشية تحرك نشاطه في العين وتقوي فاعليته. بل ربما يكون نشاطه مرتبطاً بخطوط الطول والعرض للكرة الأرضية وحركة دورانها، إن لم يكن للمستوى المعيشي والصحي سبب في ذلك التوافق..

ولندع الحديث العلمي عن العيون لنأخذ بطرف مما يخصها من الجانب الأدبي منه، وليكن ذلك من الشعر الغزلي مثلاً. فمن ذلك قول ذي الرمة:

وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

وقول أبي فراس الحمداني:

وبيض بالحاظ العيون كأنما
هززن سيوفاً أو سللن خناجرا
تصيدن لي يوماً بمنعرج اللوى
فغادرن قلبي بالتصبر غادرا

وقول أبي هلال العسكري:

أصبحت أعشق من وجهٍ ومن بدن
ما يعشق الناس من عين ومن شعر

وقول أبي الطيب المتنبّي:

وربما قالت العيون وقد
يصدق فيها ويكذب الخبر

وليكن ختام هذا الموضوع قول العباس بن الأحنف:

يا أيها الرجل المعذب نفسه
اقصر فإن شفاءك الإقصار
نرف البكاء دموع عینک فاستعر
عیناً یعینک دمعها المدرار
من ذا یعیرک عینه تبکی بها
أرأیت عیناً للبكاء تعار؟



ما يعني ربط.. شيء ب - كل -!!؟

كثيراً ما يربط المتحدث أو الشاعر لفظه - شيء - بلفظة - كل - خاصة إذا أراد أي منهما أن يعمم تعميماً غير مقيد، ولا موقوف على نوع معين تميزه ذاته وهيئته.. أو شكل من الأشكال التي تعرف بأسمائها.

ومثل هذا التعميم الذي يخص به الإنسان نفسه لا شك أنه يشكل مأخذاً عليه؛ لأن إطلاق عبارة - كل شيء - تعني أنه يصنع نفسه موضع الملم بجميع ما يمكن أن تدركه عقول البشرية متفرقة.. وكأنما هو يجهل أو يتجاهل حينما يعبر بها وأعني بذلك - شيء - أنها تشمل ما تدركه العين وما لا تدركه بسبب ضآلته أو تناهي بعده. وما يدركه الفكر من معرفة توصل إليها العقل بصفة عامة بمختلف مقاييس الذكاء.

والذي يستحسن من المتحدث أو الشاعر أن يرعوي وأن يعرف مقدار محدودية عقله وفهمه وذكائه. حتى يدع التبجح بالإحاطة بكل شيء ويعتمد إلى التبعض الذي يتفق ومستوى مقدرة إدراكه وفهمه وينأى بنفسه عما يقلل من مقدرتها وقدرها في أعين الآخرين وألسنتهم.. وقيم لها سياجاً بحفظها من التكذيب والازدراء.

وإذا ما نظرنا إلى ربط - شيء - بـ«كل» كعبارة تعميمية في لغة الشعر فإننا لم نجد للشعراء القدامى ولا المحدثين رصيماً وافراً من الأبيات التي تشمل عليها. وإنما هناك نزر قليل تلفت النظر قلته.

ونظراً لأهمية مفهوم هذه العبارة وما لها من عمق في التعميم فإنه سيكون لي نظر في ذلك.. وذلك في موضوع آخر إن شاء الله..

ومن حصيلة ما رصدته من الأبيات التي اشتملت على عبارة «كل شيء» قول أحد الشعراء:

في كل شيء عبرة لمن عقل
قد يسعد المرء إذا المرء اعتدل
وقول يزيد بن الطثيرة المتوفى ١٢٦هـ من جملة أبيات غزلية:
بنفسي من لو مرّ برد بنانه
على كبدي كانت شفاءً أنامله
ومن هابني في كل شيء وهبته
فلا هو معطيني ولا أنا سائله
إذا ما رأيته مقبلاً غرض طرفه
كأن شعاع الشمس دوني تقابله
وله من قصيدة غزلية أخرى:

فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها
لكم أو تدبّوا بيننا بالغوائل
فلن تمنعوني أن أعلل صحبتي
على كل شيء من مدى العين قابل
أما الشاعر هبة الله البغدادي فقد أحسن توصيف - كل شيء -
ووضعها في الموضع المناسب لها، وذلك قوله:

لولا حجاب أمام النفس يمنعها
عن الحقيقة عما كان في الأزل
لأدركت كل شيء عز مطلبه
حتى الحقيقة في المعلول والعلل

صفحة من فصل في البحث في ... كل!!

كان الحديث في مجلس ضمني مع لفيف من الأصدقاء يدور حول لفظة - كل - ومعناها وقواعد صياغتها في الرسائل والبحوث والحادثات. والأحكام العامة. وقد حملني هذا الحديث الشيق على البحث عن علاقتها بما ترتبط به من الألفاظ التي تترجم بعض المفاهيم اللغوية.. فعمدت إلى كتاب «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ فإذا به يعرفها بقوله: كل اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] والمعروف المجموع نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]. وأجزاء المفرد المعرف نحو: «كل زيد حسن» فإذا قلت: «أكلت كل رغيف لزيد» كانت لعموم الأفراد. فإن أضفت الرغيف إلى زيد صارت لعموم أجزاء فرد واحد.. وقد أسهب في ذكر تأثيرها وتعدد عملها وساق أمثلة على ذلك من القرآن ومن بعض العبارات التي صاغها وفق لمقتضى الحال.. ثم عقد فصلاً لذلك، جاء فيه قوله: واعلم أن لفظة - كل - حكمه الأفراد والتذكير، وأن معناها بحسب ما تضاف إليه. فإن كانت مضافة إلى منكر وجب مراعاة معناها، فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]. ومفرداً مؤنثاً نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ [المدثر: ٣٨] ومثنى مثل قول الفرزدق:

وكل رفيقي كل رَحِلٍ - وإن هما

تعاطى القنا قوما هما - إخوان

قال: وقول الفرزدق - كل رَحُل - كل هذه زائدة.. ومجموعاً
مذكراً في قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].
ومجموعاً مؤنثاً نحو: «وكل مصيبات الزمان وجدتھا» هذا وعلى من
يريد الاستزادة من المعرفة فعليه الرجوع إلى الكتاب الآنف الذكر. فصل
- حرف الكاف: كل -. أما الشعراء فقد أتحفونا وما زالوا يتحفوننا بكم
هائل من شوارد الأبيات المشتملة على - كل - ففيما يدخل في مضمون
الحكمة قول: إلياس فرحات:

ولو كان كل المظهرين لي الوفا
وفيين لم يعجزك يا نفس مطلب

وقول الشاعر ذي الإصبع:
كل امرئ راجع يوماً لشيئته
وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وقول الشاعر صفى الدين الحلبي:
تهافت على حفظ اللغات مجاهداً
فكل لسان في الحقيقة إنسان
وقول أبي العلاء المعري:

فكن في كل نائبة جريئاً
تصب في الرأي إن خطئ الجبان
وقول صريع الغواني:

تلقي بكل بلاد إن حللت بها
أهلاً بأهل وجيران بجيران
وقول: أبي الفتح البستي:

ولن في الكلام لكل الأنام
فمستحسن من ذوي الجان لين
ويقول أبو الفتح البستي أيضاً:
وللأمور مواقف مقدرة
وكل أمر له حد وميزان



المتنبي يحقق شمولية ما يفعله ممدوحه بـ«كل»!!

والمتنبي وهو الشاعر الذي لا يشق له غبار في انتقاء المفردة الشعرية، والصياغة البلاغية ورشاقة المعنى، وتماسك البناء، والأخذ بأعناق البديع في المديح والغزل والهجاء والثناء.. لا يغفل لحظة عن استخدام لفظة «كل» حيث وجد في التعبير بها شمولية يطرب لها ممدوحه حينما يطرق مجال ذكر المناقب.. ويسئ بها من يناصبه الهجاء فلا يترك باستخدامها جميع. أو قل كل ما هو ثالب ومعيب.. ومصدق ذلك أننا لو امتدحنا شخصاً ما وقلنا هو أفضل كل الناس لجعلناه في القمة دون سواه. أو قلنا هو أكرم كل الناس، أو أشجع كل الناس لجعلناه المقدم في ذلك. والمتنبي قد أكثر من استخدام - كل - لتمام معرفته بتأثيرها في النفس، ولقطع الطريق على أي ممتدح يحاول إضافة شيء فوق ما وصف به ممدوحه من أفعال إلى جانب الذي يأخذ في تفصيله وتبيانه.

ومن صور رفع مقام ممدوحه عن سائر الناس بـ«كل» ما ضمنه إحدى قصائده التي امتدح بها سيف الدولة الحمداني سنة ٣٤٠هـ وسجل فيها مشاهد بطولته في «دلوك» وهو موضع وراء الفرات، وفي صنجة وهو اسم نهر بين ديار مضر وديار بكر.. وجعل رايات نصره فوق كل طود، ولم يعين طوداً، بل شمل أطواد تلك الجهات بـ«كل»:

فلما تجلّى من دلوك وصنجة

علّت كل طود راية ورعيل

وفي موضع آخر من نفس القصيدة جعل جيش سيف الدولة سحباً
تمطر الحديد على عدوه في كل مكان:

سحائب يملطن الحديد عليهم
فكل مكان بالسيوف غسيل

وفي موضع آخر منها يصف خيل سيف الدولة وهي تخوض دماء
أجواف جند عدوه خوضاً يكفل لمن رآها بأنه لا يتعذر عليها بعد ذلك
خوض دم لم تخضه بعد:

فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنه
بكل نجيع لم تخضه كفيل
تسايرها النيران في كل مسلك
به القوم صرعى والديار طولول

وفي نفس القصيدة يصف خيل سيف الدولة وقد دخلت حصن
الران في بلاد الروم، وقد ظهر عليها الإعياء والتعب مما أصابها في
حوافرها. ثم اعتذر لها فقال: لم يلحقها ذاك لضعفها لكن الأمير كلفها
من همته صعباً فذلت له:

وبثّن بحصن الرّان رزحى من الوجى
وكل عزيز للأمير ذليل
وفي كل نفس ما خلاه ملالة
وفي كل سيف ما خلاه فللول

وفي نفس القصيدة يقول: إن سيد الدولة يجود بماله في كل
الأحوال ولكنه ييخل برجاله: يعني أنه يبذل المال ويصون الرجال:

جواد على العلات بالمال كله
ولكنه بالدارعين بخيل

وفي موضع آخر من نفس القصيدة يبالغ في امتداح سيف الدولة
فيجعله شريك المنايا وأن كل منية لم يكن سببها سيفه فهي خائنة:

شريك المنايا والنفوس غنيمة
فكل ممات لم يمته غلول

وفي القصيدة نفسها أكثر من ذلك مما استخدم فيه «كل».



شيء من دلالات.. كل شيء!!

يركب بعض أهل العلم والمعرفة والمتكلمين والشعراء وغيرهم ممن حباهم الله ذلاقة اللسان وفصاحة المنطق موجة الكبرياء.. ويمتطي صهوة التعالي. فيصف نفسه بأنه العالم العارف بكل شيء، وكأنما هو يجهل نفسه بأنه أقل من ذرة من شيء. فكيف يحيط علمه بكل شيء!!؟ وليت الذي يستخدم لفظة - كل شيء - أثناء الحديث عن نفسه وعند إظهار قدراته الفكرية والعقلية.. يتصور معناها الواسع ومدلولها العميق الذي تعجز مقدرته عن الوقوف على جانب ضئيل منه. ولعظم مدلولها نرى أن الله سبحانه وتعالى قد خص ذاته بالتعبير بها فقال تعالى مخبراً عن قدرته على كل شيء، وعن إحاطته علمه بكل شيء في سورة الطلاق ١٢: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾. أخبر تعالى في الآية ٨٨ من صورة القصص: إن البقاء له وأن كل شيء سواه هالك قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾. وعن إحاطته بكل شيء أخبرنا في الآية ١٢٦ من سورة النساء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾. وأخبرنا تعالى عن إتقانه لكل شيء في الآية ٨٨ من سورة النمل فقال جل شأنه: ﴿وَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُورُ مَرَّ السَّحَابِ ضَعَّ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾. وعن إحصائه الأشياء قال تعالى في الآية ١٢ من سورة ياسين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾. وأخبرنا تعالى في الآية ١٢ من سورة

الإسراء أنه قد فصل كل شيء وبينه لنا. وذلك بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن
رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ نَفْصِيلًا ﴿١٧﴾﴾...
وفي محيط الشعر نرى بعض الشعراء قد أخذ حذره من التعميم، بكل
شيء إلا فيما يكون موافقاً لاستخدامها لها، وذلك مثل قول لبيد بن
ربيعة في بيته المشهور:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وقول أسامة بن زيد:

كل شيء تراه في هذه الدنيـ
ما خيال إذا انتهيت يزول

ما يدوم النعيم فيها ولا البؤـ
س متاع الدنيا متاع قليل

وقول الحارث بن عباد:

كل شيء مصيره للزوال
غير ربي وصالح الأعمال

وقول أحد الشعراء:

كل شيء إذا تنامى توامى
وانتقاص البدور عند الكمال

أما الأصمعي فله قصيدة ابتهالية جميلة ومؤثرة.. منها قوله مناجياً

ربه:

فإذا رضيت فكل شيء هين
وإذا حصلت فكل شيء حاصل

أنا عبد سوء أبق كلّ على
مولاه أوزار الكبائر حامل
قد أثقلت ظهري الذنوب وسوّدت
صحفي العيوب وستر عفوك شامل



تأمل في بعض الأبيات المحتوية على - كل - !

وحصر أبيات الحكمة التي تشتمل على لفظة - كل - شيء غير ممكن. بل إن التفكير في حصرها غير وارد، وذلك بسبب كثرتها وتجدد استخدام الشعراء لها منذ عرف الشعر إلى يومنا هذا.. والدليل على ذلك أننا لو ألقينا نظرة على ديوان شعر واحد ورصدنا ما فيه من الأبيات التي تتضمن لفظة - كل - لحصلنا على كم هائل منها. فما لنا بما تحويه آلاف الدواوين منذ العصر الجاهلي.

وبالاستمتاع بالنظر إلى بعض الأبيات المتضمنة للفظه - كل - والتي سأتناولها تناولاً عشوائياً لا اختيارياً، تقف مثلاً على بيت الشاعر: عبد الله الشبراوي:

والموت حق ولكن ليس كل فتى

يبلى عليه إذا يعروه فقدان

وفي هذا البيت شيء من التقرير المتصف بالحكمة، إذ إن الاتفاق قد حصل على أنه ليس كل من مات يفتقد، وإنما الذي يفقد بموته من كانت له أيادٍ ندية، وأخلاق زكية.. والمثل العامي في نجد يقول: «ما يفقد إلا الطيب».

ونقف على قول الشاعر سفيان الثوري:

في كل يوم لنا ميت نشيعه

ننسى بمصرعه أثار موتانا

والوقفة عند هذا البيت لا تعدو عن تأمل الحقيقة التي لا نجهلها،

وإن كان للنسيان دور في محاولة تناسيها ونقف على قول الشاعر
القاضي الفاضل:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن أمان

ومع أن السعادة سراج للحياة ونبع للسرور. فإن الشاعر قد جعلها
حارساً يقظاً يجعل صاحبه يغط في سبات عميق بلا خوف ولا رعب
يتولى قلبه.

أما قول الشاعر أبي عثمان بن لئون التجيبي:

فاجعل سريرتك التقوى ترى أملاً

في كل ما أنت تبغيه وبرهاناً

فإن فيه من الحكمة ما يدل على أن التقوى نبراس للحياة، وحبلًا
موصلاً لكل ما يريده الإنسان.

والوقوف على قول أبي الفتح البستي:

ورافق الرفق في كل الأمور فلم

يندم رفيق ولم يذمه ندمان

يذكرنا بالحكمة القائلة في «التأني السلامة وفي العجلة الندامة» أو
يجدها لنا بأسلوبه هذا..

أما الشاعر جميل صدقي الزهاوي، فيصور المجازاة لبعض
الحالات بقوله:

إذا أهنت أناساً

فأنت سوف تهان

وأنت في كل أمرٍ

كما تدين تدان

الوقوف على لفظة - كل - لا يمل!!

ولعل الموضوعات التي سبقت قد شكلت بالنسبة لي التفاتة أدبية إلى لفظة - كل - بل حملني التماذي في قراءة كل بيت يلوح وفيه لفظة - كل - لأقف على مستوى فنية تعامل الشاعر معها، وكيفية توظيفها، مما كون لدي حصيلة متداخلة الأغراض والمعاني، وتجلت فيها روح الشعر وتلاعب الشعراء بـ«كل» وتنوع أسباب توظيفها.

ولقد تبينت أن مجال الوقوف على كيفية صنع لفظة - كل - لا يمكن حصره، لذا رأيت أن أختار بعضاً من الأبيات المبدوءة بـ«كل» لأقدمها نموذجاً لبراعة الشعراء في استخدامها - وحينما أقول من الأبيات - فهذا يعني أنه يمكن حصر ما كان مبدوءاً بـ«كل» مما قالتها الشعراء قديماً وحديثاً.. وعلى هذا أبدأ بقول الشاعر: يوسف أبو هلاله:

كل بذل إذا العقيدة ريعت

دون بذل النفوس نزر زهيد

وهذا القول: هو والله القول الذي يجب أن يحفظ في الصدر وأن يعمل به في العلن والسر.

ويضرب عمرو بن معد يكرب في عمق الحكمة بهذا البيت:

كل امرئ يجري إلى

يوم الهياج بما استعدا

ويقول أحمد شوقي:

كل حيّ على المنية عادي
تتوالى الركاب والموت حاد«ي»
أما العباس بن الأحنف الذي قد تفنن في أساليب التغزل وأبدع
في صناعة الغزل فيقول:

كل يوم لنا عتاب جديد
وهواناً على العتاب يزيد
ويترجم أبو العلاء المعري حقيقة لا اختلاف عليها في قوله:
كل بيت للهدم.. ما تبتني الور
قاء والسيد الرفيع العماد
هذا من حيث البناء والهدم في الدنيا أما من حيث الحياة والموت
وعدم الخلود فيقول فيه ابن مناذر:

كل حيّ لاقى الحِمَامَ فمودي
فالحَيّ مؤمِّلٌ من خلود
ويقتبس الأحوص من معنى الآية الكريمة: ﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ
مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] فيقول:

كل الحبال حبال الناس من شعر
وحبلها وسط أهل النار من مسد
أما الإمام الشافعي فقد أحكم المعنى في تصوير العداوة التي لا
يمكن إخماد سعيها وذلك بقوله:

كل العداوة قد تجرى إِمَاتِهَا
إِلَّا عداوة من عاداك من حسد



مكانة - كل شيء - في القافية والكلمة العابرة!!

والأذكياء من الكتاب والشعراء والمتحدثين، يأخذ كل منهم الحيلة عندما يتحدث عن نفسه، ويميل إلى إطرائها من حيث إصابة رأيه لمقاتل الأمور، وإلمامه بما كبر وصغر من الأشياء التي اتسعت لها مداركه، وارتبطت بحياته العملية، وبالعلاقات الاجتماعية فلا يستخدم عند ذلك لفظة «كل شيء» لأنها تعني الإحاطة العامة التي من صفات الإنسان؛ لأن الإنسان يعرفه النقصان ومبتلى بالنسيان. وغير مؤهل لمعرفة جميع ما يكون وما قد كان. وإن بلغت نسبة الفطنة والذكاء علو الشأن.

وبعض الشعراء الذين يدركون مفهوم لفظة - كل شيء - يتحاشون إدخالها في أساليبهم الشعرية إلا فيما يكون لها فيه مكان يتفق وواقعها اللفظي والمعنوي معاً.

أما كيف يكون لها وقع وتأثير في النفس عندما تكون قافية البيت من الشعر فهذا ما يحتاج إلى إيجاد دليل نستمد منه قوة تأثيرها ومدى انسجامها كقافية متى ما وجدت بين أبيات القصائد الياضية.. وكيف تكون مناسبة للمكان الذي يضعها الشاعر فيه من حيث المفهوم اللفظي والمعنى الشمولي.

أما جرسها ونغمتها الموسيقية في القافية متى ما اختارها الشاعر المتمكن فشيء يعجز التعبير عن وصف الإحساس به والتفاعل السماعي معه.. ويبقى الآن أن نستعرض بعضاً من النماذج التي حصلت عليها بشيء من التعب.. وذلك مثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل شيء
ولكننا إذا متنا بعثنا
ونُساءل بعد ذا عن كل شيء
وقول ابن المعتز:

قد كشف الدهر عن يقيني
قناع شكي في كل شيء
وقول عبد الغني النابلسي:
إنما نحن وأنتم خلقه
وهو مولى في يديه كل شيء
وقول رفيق فاخوري:

فضول الناس أقتل ما نعاني
يعالج كل معتقدٍ وزيّ
يطل برأسه من كل باب
ويدخل أنفه في كل شيء
وقول ابن حمديس:

كيف ترجو أن تكون سعيداً
وأرى فعلك فعل شقيّ
فاسأل الرحمة رباً عظيماً
وسعت رحمته كل شيء

ومما تقدم نتبين أن حذر الشعراء من استخدامها يقوم على أمرين:
الأول: أن شمولية معناها مختص بذات الله تعالى، والثاني: أن التجاوز
في استخدامها لا يتهيأ له المكان المناسب الذي يرضى عنه الشاعر
ويستسيغه الناقد.

من دلالات اليوم الوطني لشعوب الأرض!!

والملاحظ من حيث مناسبة أهم الأفراح لدى معظم شعوب الأرض، يدلك أن سببها يرجع إلى أن لتلك الشعوب يوماً من أيام السنة قد جعلوه مناسبة وطنية. أما كيف يكون تحديد ذلك اليوم؟. فإنه إما أن يكون مناسبة تحرير شعب من الاستعمار، أو أنه يوم اندحر فيه باغٍ بغى عليه - والمعنى بذلك الوطن - فرد على عقبه. فكأن يوم نصر تتجدد ذكره كل عام - أو أن يكون قد حصل له في مثل ذلك اليوم تحولاً من حالة سياسية أو اجتماعية سيئة إلى حالة حسنة استقرت فيها الأمور التي تطمئن بها القلوب وتنشرح لها الصدور وتسعد بها الأنفس - أو يوم توحدت فيه أجزاء بلاد متفككة، وتآلفت فيه قبائل متناحرة يغزو بعضها بعضاً. وينهب بعضها بعضاً كما هي الحال في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية التي وحد أطرافها جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه. حيث أعلن توحيدها في مرسوم ملكي صدر في يوم الخميس الأول من برج الميزان الموافق للحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ والواقع في ٢٢ سبتمبر أيلول عام ١٩٣٢م، فكان يوماً وطنياً يتكرر في كل أول يوم من الميزان من كل عام منذ عام ١٣٥١هـ.

.. والحقيقة إنها ذكرى تعز على النفوس حيث استحال الخوف في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية - وهي ما تعرف الآن بالمملكة العربية السعودية - إلى أمن، والمرض إلى صحة، والجهل إلى علم، والعداوة والبغضاء إلى تآلف وتآخي ومحبة. فأصبحت الأيدي المتفرقة يداً واحدة قوية، تبني وتنشئ وهي محكمة القبضة على السلاح لتشهده

في وجه كل من يسعى لتفريق شملها وتمزيق وحدتها وتشتيت جمعها .
فاستقام لنا الأمر بحمد الله ومنتها ، وأخذ وطننا - المملكة العربية
السعودية - مكانه من العالم بهامة شامخة وجبهة تأبى الركوع لكل
مخالف لدستورنا القرآن الكريم وشريعة نبينا محمد ﷺ .

ومما قيل في ذكرى اليوم الوطني لهذا العام ١٤١٦هـ من أشعار قول
الشاعر عبد العزيز محمد الحسن من قصيدة له عنوانها «نخيل الوطن» :

كيف السبيل لشكران الجميل وما
نهديك في يومك المشهود يا وطني
نهديك أرواحنا نعطيك عزتنا
يفديك شعب بكل المكرمات غني
في كل حين تضىء المجد همتنا
حتى غدونا له كالروح في البدن
لو لم تكن لم يكن فخر ولا همم
تهو ولا موطن في العالمين سني
يا موطن المجد ما أسماك معتصماً
بالله مسترشداً من صفوة السنن
يا موطن الفخر والأفراح تغمرنا
في يومك العاطر الوضاء بالمنن
يا أيها الساكن الغالي ضمائنا
أكرمت فيك الذي بالحب أكرمني
لو لم تكن لم أكن يا لحن أغنيتي
ويا هواي الذي بالشعر ألهمني



يومان.. في يوم واحد من الميزان

في كل عام من أعوام منذ عام ١٣٥١هـ ونحن نحتفل بذكرى توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه، وجزاه عنا أحسن الجزاء.

وفي هذا العام ١٤١٦هـ صادف اليوم الأول من الميزان الذي هو اليوم الوطني.. يوم السبت ٢٨ ربيع الآخر الموافق ٢٣ سبتمبر عام ١٩٩٥م موعد بدء الدراسة في جميع مراحل التعليم. فامتزج الشعور لدى الجميع باليوم الوطني، ويوم بدء الدراسة. فكانت فرحتان في فرحة واحدة ويومان في يوم واحد.

وتنقلنا موافقة يوم بدء الدراسة باليوم الوطني إلى الوقوف على تطور التعليم في بلادنا المملكة العربية السعودية منذ توحيدها في يوم الخميس الأول من الميزان والحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر أيلول سنة ١٩٣٢م. إلى هذا اليوم الذي قُدر فيه عدد الطلاب والطالبات بأربعة ملايين طالب وطالبة.

وتأتي هذه المناسبة في هذا العام ١٤١٦هـ وبلادنا تحتضن سبع جامعات متكاملة المرافق والمنافع بشكل ينطبق على اسم كل منها - مدينة - . تضم جميعها ٩٤ كلية بها ٣٠٣٤٥٥ طالباً وطالبة و ١٢٢٥٧ هيئة تدريس بها.

والجدير ذكره في هذه المناسبة أن التعليم كان من أهم اهتمامات الملك عبد العزيز حيث جد في القضاء على التخلف الحضاري باستخدام أضرادها، فأيقظ ضمير العلم ليقضي على الجهل مشجعاً

مؤسسات التربية والتعليم فما وافاه الأجل إلّا وقد غرس كل نواة لكل تخصص علمي بفتح المدارس النظامية.. وإنشاء مديرية للمعارف في عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م. وقد توارث هذا الاهتمام، وهذا الحرص أبناؤه من بعده فكانت الثمرة تلك الأعداد الطلابية والجامعات التي تقدم ذكرها.

ومما قيل من أشعار في ذكرى هذا العام ١٤١٦هـ قول الشاعر أحمد معروف شلبي من قصيدة له عنوانها «خيول البساتين»:

هذي خيول الفجر في مضمارها
أرخت أعنتها إلى النعماء
تسقي الثرى عَرَقاً فيضحى عسجداً
في السهل أو في القمة السماء
تسري بأمجاد الجدود يقودها
أسد مضى في حكمة وإباء
- عبد العزيز - الحر قد ورث العلا
وسقاه من كفيه للأبناء
غرس المحبة في القلوب فأينعت
حباً له ولعهده المعطاء
فرعى بلاد الأنبياء كما رعى
دين الإله بعزيمة ومضاء
ورنا بعين المخلصين فراعته
جذب الحياة وضيعة البسطاء
فمضى يشق الأرض عن ثمراتها
بالعلم والإيمان دون عناء

فهرس المجلد الثالث عشر

رقم الصفحة	الموضوع	قافية الشاهد
٥	مقدمة	
٧	وصف مائدة من الرؤوس	النون
٩	نسب كثير . . وسبب تصغير اسمه	اللام
١١	ابن عربي يعترض على ابن أبي ربيعة	النون
١٣	الأخوان الخوآن	النون
١٥	الاعتراف بالذنب . . مفتاح لباب العفو	الجيم
١٧	من الفرد يتكون المجتمع	الدال
١٩	فلسفة في الزجاج	الهاء
٢١	تصوف ابن عربي أودى بحياته	النون
٢٤	وجوب تفهيم النشئ بعدالة التشريع الإسلامي	المصاد
٢٦	من طريف أخبار كثير عزة	اللام
٢٨	من أساليب خيانة الوطن	العين
٣٠	جمع التكسير	الراء
٣٢	وجبة غداء يصفها الشعراء	الراء
٣٤	وقفه مع المكاتب بالشعر	الزاي
٣٦	تقريض كتاب ابن خلاد في قصيدة لابن العميد	الميم بوصل الهاء
٣٨	بين كثير عزة والحزين	الميم
٤٠	صورة كانت واضمحلت	الراء
٤٢	ابن عربي يتغزل بمذهبه الصوفي	الواو
٤٥	ابن المقرب يخاطب أميمة	الدال
٤٧	أقوال في تقييم شعر كثير	الراء
٥٠	نريد شعراء من هذا النوع	الحاء
٥٢	مداعبة بين شاعرين	الدال
٥٤	تنمية الهللة والبارة من مفاتيح التجارة	الراء بوصل الهاء

الموضوع	القافية	الصفحة
أحدث ما قرأته من النقد في الشعر الهزلي المعارض لمعلقة التغلبي	النون	٥٧
تثير العودة إلى البيت بعد النزوح عنه وتحوله إلى أطلال.. أكثر من سؤال	اللام	٦٠
أحمد قنديل شاعر صنع قنديلاً مضيئاً من شعره	الراء بوصل الهاء	٦٢
فحش التشيع عند كثير عزة	الميم	٦٤
تقدم العهد يجعل بعض قصائد المعاناة فكاهة	الباء	٦٦
أبيات مزهرة من قصيدة زهرانية	التاء	٦٨
بساطة الحياة في صورة يرسمها الغزاوي للراعية	الميم	٧٠
الاعتراض في المعارضة	القاف	٧٢
من هو قانصوه الذي انتقد علماء عصره؟	التاء	٧٤
الحزين واحد من الشعراء الهجائيين	الراء	٧٦
عزة تمسح الدم من يد كثير بثوبها	التاء	٧٨
بقدم رمضان تبتهج نفوس وتشمئز نفوس	القاف	٨٠
صور من المديح ومن الهجاء في شعر الحزين	اللام	٨٢
من أقوال الخوارزمي نثراً	الراء	٨٥
آفات	الراء	٨٨
انهيار البيوت	الدال	٩٠
كسر الدواة لا يقل في أهميته عن تحطيم القيثارة والقوس وإلقاء عصا الترحال	التاء	٩٢
تقاول وهمي مشحون بإغراءات الشيطان وتوهمه	الباء	٩٤
في بعض المواقف تفتقد القريحة الشعرية	الميم	٩٦
كثير عزة يروي وفادته على عمر بن عبد العزيز	الميم	٩٨
عنديات الخوارزمي	الباء	١٠١
كثير بين عزة، وأم الحويرث وبشينة	الباء	١٠٣
باللسان والجنان يقاس مستوى الإنسان	الراء	١٠٥
من مكاسب الأسفار.. الأصدقاء الأختيار	القاف	١٠٧
نقد الشعر.. والشعر الناقد	اللام	١٠٩
وما من شعر هجائي إلا وله أسباب	اللام	١١١

الموضوع	القافية	الصفحة
شعر في طريقة عمل «كبسة» الأرز	الراء	١١٣
نريد مثل هذا الشعر من الشواعر	الميم	١١٥
كيف، ومتى عشق كثير.. عزت بنت جميل	الهاء	١١٧
صورة من دور الشعر في المطالبة بتحقيق الخدمة العامة	التاء	١١٩
ابتهالات معاق	الراء	١٢١
من أسباب الفتح الأعظم	العال	١٢٣
التوكل على الله في طلب الرزق	الراء	١٢٥
الشاي والقهوة في المنتدى والرحلة	اللام	١٢٧
مددوح حقي يفضل الكلاب على بعض الصحاب	الباء	١٢٩
تساؤلات واستفتاءات فلسفية	الراء	١٣١
يوم الفتح الأعظم - فتح مكة	الهمزة	١٣٣
عندما يرد الخاطب بماذا تحدثه نفسه؟	الراء بوصل الهاء	١٣٥
بيت موصول بأبيات بديهة	الهمزة	١٣٧
النشار يهدد باستخدام المنشار	الباء	١٣٩
لون من ألوان الفلسفة والفكاهة والحكمة	الميم	١٤١
إقامة كإقامة عسيب	الباء	١٤٣
الله يخلي لي دم عريقبي	الجيم	١٤٥
كافور وقهرمانته	النون	١٤٧
عامر يطلب إلى النبي المخاللة وإلى الموت المبارزة	الميم	١٤٩
جزء من صفة دخول رسول الله مكة	الميم بوصل الهاء	١٥١
خدمة الحجاج وسلامتهم على رأس اهتمامات الدولة	الميم	١٥٣
الشعر في رسم صورة خدمات الحجاج	الباء	١٥٥
جوارٍ ولد كل منهن خليفتين	الراء	١٥٧
توافق الأريحيات في مجال الكرم	الراء	١٥٩
كيف عورت عين عامر؟	الراء	١٦٢
ابن أبي حصينة وعينة من شعره	الميم	١٦٥
المتنبى يفتخر بالكرم.. وهو أبخل الأمم	اللام	١٦٧
أحياناً يكون الاسم سبباً من أسباب المداعبة	الراء	١٦٩
جانب من بعض الجانب التبضي عند أبي الطيب المتنبى	اللام	١٧١

الموضوع	القافية	الصفحة
تداخل الأقوال في الصديق	النون	١٧٤
ابن زيدون وقناعته بالمطالبة ببقية المسواك	الكاف	١٧٦
وعلى لسان صديقي قلت في جاره	الراء	١٧٨
الأعرابي والفأر	الباء	١٨٠
العجيب في بعض أحاديث الشيب	النون	١٨٢
تأليف أدبي، وتأليف تجاري	الباء	١٨٤
لا تتناولوا على لغتنا العربية بالفرنجة اللغوي	الهزمة	١٨٦
التوفيق المليح بين وصف الشجاعة والكرم في المديح	الفاء	١٨٨
مع ابن زيدون الأندلسي، والشهال الطرابلسي في نونيتيهما	النون	١٩٠
ليل ابن زيدون	الكاف	١٩٢
سنة . . الطبعة	الباء	١٩٤
الجندي يصف اللاعب بالقط والكرة بالجرذي	النون	١٩٦
الشاعر وقدره . . قبل زواجه وبعده	السين	١٩٨
الصديق الصدوق أعز مفقود وأغلى مطلوب	الكاف	٢٠١
ذكرى الماضي المعنبر بسذاجة الطفولة وبراءتها	الميم	٢٠٣
فعل الفقر والغنى بصاحبيهما	الباء	٢٠٥
العشق تختلف فعاليته والبوح به من شخص إلى آخر	الراء	٢٠٧
أسد بيثة ورحى المعيشة	السين بوصل الهاء	٢٠٩
الشبراوي يتلهف ثم يتعفف	اللام بوصل الهاء	٢١١
قصيدة من قصيدتين	السين	٢١٣
الشلشلة، والسلسلة، والبلبل، والقلقلة في الشعر	اللام	٢١٥
الحيرة بين السماع والرؤية	اللام	٢١٧
ما هو السر في تشابه مرض العيون في بعض البلدان المتباعدة؟	الراء	٢١٩
ماذا يعني ربط . . شيء بـ«كل»؟	اللام	٢٢٢
صفحة من فصل في البحث في . . كل	النون	٢٢٤
المتنبي يحقن شمولية ما يفعله ممدوحه بـ«كل»	اللام	٢٢٧
شيء من دلالات . . كل شيء	اللام	٢٣٠

الموضوع	القافية	الصفحة
تأمل في بعض الأبيات المحتوية على - كل -	النون	٢٣٣
الوقوف على لفظة - كل - لا يمل	المدال	٢٣٥
مكانة - كل شيء - في القافية والكلمة العابرة	الشرين	٢٣٧
من دلالات اليوم الوطني لشعوب الأرض	النون	٢٣٩
يومان . . في يوم واحد من الميزان	الهمزة	٢٤١
* الفهرس		٢٤٣

